Al-Daleel

Social Media; Cyber Identity and Religious Identity

Sayyid Ruhollah Mousawi
PhD in Islamic Philosophy & Theology, Tehran University, Iran.
E-mail: s.r.musawi@aldaleel-inst.com

Summary

The issue of religious identity, which is one of the aspects of cultural identity, is one of the most important and contentious issues for humans, given the meaning it imparts to human life. Although identity is a general topic with general principles that are discussed regardless of the phenomenon of social media networks, in this study, using a critical philosophical approach, we will focus on addressing these principles and discussions in the context of social media platforms, especially in the world connected to this modern phenomenon. We will also illustrate how they are related to the phenomenon of religion and religiousness. We have discussed and critiqued some thinkers› views on cyber identity or identity influenced by these networks, and we have attempted to apply them to the subject of religious identity. One of the conclusions we have reached through the discussions presented is that social media networks, in their current form and structure, are imbued with non-religious perspectives, Western lifestyle patterns, and non-religious ideologies. All these factors result in the weakening of religious identity, despite the fact that humans are in dire need of religious identity, especially in the modern age. Finally, we have provided some recommendations to prevent falling into these problems and crises.

Keywords: Reality, religious text, interests and harms, method, religion, multiplicity of understandings.

Al-Daleel, 2024, Vol. 6, No. 4, PP. 59-92
Received: 03/11/2023; Accepted: 29/12/2023
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

شبكات التواصل الاجتماعي.. الهوية السيبرانية والهوية الدينية

روح الله الموسوي
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة طهران، ايران.
البريد الإلكتروني: s.r.musawi@aldaleel-inst.com

الخلاصة

إن مسألة الهوية الدينية -وهي من مصاديق الهوية الثقافية- من أهم قضايا الإنسان وأكثرها جدلًا، نظرا لاضفائها معنى على حياة الإنسان. ورغم أنّ الهوية مبحث عامّ وله أحكامٌ عامّة تُطرح بغض النظر عن ظاهرة شبكات التواصل، إلّا أنّنا في بحثنا هذا وبمنهج فلسفي نقدي سنركّز على معالجة هذه الأحكام والمباحث في بيئة شبكات التواصل خاصّة والعالم المتّصل بهذه الظاهرة الحديثة، ونبيّن كيفية ارتباطها بظاهرة الدين والتديّن، كما طرحنا ونقدنا رؤى بعض المفكّرين حول الهوية السيبرانية أو الهوية المتأثّرة بهذه الشبكات، وحاولنا أن نسقطها على موضوع الهوية الدينية. من النتائج التي توصّلنا إليها من خلال المباحث المطروحة أنّ شبكات التواصل بشكلها وهيكليتها الحالية مشرّبةٌ برؤًى غير دينية ونمط حياة غربية وأيديولوجيا غير دينية يسفر عنها تضعيف الهوية الدينية، رغم أنّ الإنسان في أمس الحاجة إلى الهوية الدينية، خصوصًا في العصر الحديث. وفي الأخير قدّمنا بعض التوصيات للحؤول دون السقوط في هذه المشاكل والأزمات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية الثقافية، الهوية الدينية، الهوية السيبرانية، الهوية ما بعد الحداثية، شبكات التواصل.

مجلة الدليل، 2024 ، السنة السادسة، العدد الرابع، ص. 59 - 92
استلام: 2023/11/03، القبول: 2023/12/29
الناشر: مؤسسة الدليل للدراست والبحوث العقديّة
© المؤلف

المقدّمة

إنّ دراسة آثار التكنولوجيا على هويّة الإنسان وتغيّرها تعدّ أحد مواضيع الدراسات الحديثة والتي يطلق عليها "الذات التقنية" (Technoself)، وقد ظهر هذا المفهوم مؤخّرًا للإشارة إلى حالة تغيّر الهويّة البشرية في المجتمع الذي يعتمد على التقنيات الجديدة..

[Carducci, The Psychology of Personality: Viewpoints, Research, and Applications, p. Z]

وممّا لا شكّ فيه أنّ الشبكات الاجتماعية السيبرانية هي من أهمّ مظاهر التكنولوجيا التي ينبغي دراسة علاقتها بالهوية الانسانية؛ إذ إنّ التأمّل في بنية الفضاء الافتراضي وكيفية عمله يقودنا إلى نتيجة مفادها أنّ هويّة الإنسان تترك بصماتها على نشاطاته في الفضاء السيبراني، ممّا يسهّل كشف هويّته بصورة أكثر دقّةً ممّا يبديه في صفحة البروفايل، حتّى وإن كان صادقًا. فما هو الفارق بين هوية الإنسان في عصر شبكات التواصل وهويته قبل هذه التقنيات وما يسمّيه بعضهم بهويته السيبرانية إذا كان هناك فارق أصلًا؟ وما العلاقة المتبادلة بين هاتين الهويّتين، وبنظرة خاصّة ونظرًا لأهمّية موضوع الدين وضرورته، من الضروري أن ندرس إن كان حضور الإنسان في هذه الشبكات مؤثّرًا على هويته الدينية ومدى تديّنه؟

يهدف هذا المقال إلى بحث هذا الموضوع المهمّ ودراسته بالاستناد إلى منهج تحليلي ونقدي وعرض آراء بعض أبرز المفكّرين في هذا المجال ثمّ نقدها، ثمّ عرض الرأي المختار تجاه هذه الظاهرة الحديثة والإجابة على أهمّ التساؤلات في هذا الصدد بقدر الإمكان. إنّ هذا البحث يمكن إدراجه ضمن مباحث الدراسات الدينية (religious studies)، التي تهدف إلى الدراسة العقلية حول العلاقة بين الدين والظواهر المختلفة.

المبحث الأوّل: المفاهيم

أ ـ معنى الهوية

الهوية بالمعنى الاصطلاحي لها معانٍ تختلف باختلاف مجالاتها وسياقاتها المعرفية، ويمكن عرضها ضمن المجالات الأربعة التالية:

1- المجال القانوني: الهويّة في أبسط معانيها هي الخصائص التي تميّز شخصًا عن آخر، والأوصاف التي يميّزون بها الإنسان عن سائر أبناء جلدته، وتشمل هذه الخصائص المظهر، الاسم، الدين، اللغة، العرق، التاريخ والجغرافيا [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 55]، وكذلك السمة الجامعية و... وأوصاف مثل لون البشرة وفصيل الدم و... يمكن التعبير عن هذه الهوية بالهوية السجلّية أيضًا. وعلى سبيل المثال حينما يراد البحث عن هويّة قاتلٍ ما، فإنّ البحث يتّجه إلى الهوية بهذا المعنى.

2- مجال علم النفس الفلسفي: من وجهة نظر علماء النفس ومنظّري الشخصية، فإنّ الهويّة هي الشعور بالتميّز والاستمرارية والاستقلال الشخصي [رسولزاده اقدم و ...، رسانه‌های اجتماعی، هویت و فرهنگ جوانان، ص 64]، فالهوية هنا تعني تلك الحقيقة المستمرّة التي يدركها الإنسان تحت عنوان "أنا" وتشكّل حقيقته وشخصيته، ويتمّ البحث حول وجود هذه الحقيقة وفهمها في علم النفس الفلسفي، كما يستند علم اللاهوت والكلام أيضًا إلى هذه البحوث في إثبات عدم فناء الإنسان بالموت، أو لإثبات أنّ الإنسان الذي يُبعث في الآخرة ويتنعّم أو يُعذّب هو نفس الإنسان الذي عاش في الدنيا.

3- مجال الدراسات السوسيولوجية: في هذا المجال المعرفي يتمّ دراسة سمة الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع وباعتبارها هويته الاجتماعية، ويُدرس أثر هذا الانتماء إلى المجتمع على وعي الإنسان وشخصيته وتصرّفاته. إنّ النظرة السوسيولوجية تعدّ الهويّة ظاهرةً مرنةً ومتغيّرةً يشكّلها الآخرون من خلال علاقاتهم الاجتماعية [المصدر السابق]؛ لذلك من وجهة نظر علم الاجتماع، يتمّ تشكيل الهويّة من قبل الآخرين، وهذا يعني أنّ إدراكنا لهويّتنا قائم على موقف الآخرين، وينتج عن هذا الرأي أنّ الهويّة مبنًى اجتماعيٌّ ممزوجٌ بالشعور بالانتماء إلى مثل هذه المجموعات الاجتماعية، ومرتبط بتغايرنا واختلافنا مع الآخرين، كما أنّها مرنة لأنّها مكتسبة [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 66]؛ لهذا تعدّ أنواع الهوية الشخصية والاجتماعية والجماعية مهمّةً في مناقشة الشبكات الاجتماعية.

4- مجال الدراسات الثقافية: في هذا المجال البحثي نشير إلى الهوية الثقافية، التي تعني نوعًا من إدراك الذات وخصائصها المهمّة، ممّا ينتج عنه معنًى خاصّ للأشياء، فمثلًا إنّ وعي المرء بكونه شخصًا تقيًّا ومسلمًا ومحبًّا لأهل البيت عليهم السلام يجعل لتربة الإمام الحسين عليه السلام معنًى خاصًّا ومقدّسًا، في حين لا يملك غير المتديّن وغير المسلم مثل هذا المعنى والانطباع عن هذة التربة.

انطلاقًا من هذه النظرة عرّف بعضهم الهوية الثقافية بأنّها تعلّق الإنسان بثقافة المجتمع بحيث يشعر الإنسان بتعلّقه بأعراف مجتمعه والالتزام بها. [اكبرى، بحران هويت و هويت دينى، ص 221]

هناك صفات متعدّدة يمكن للإنسان أن يتّصف بها، ولكنّ هناك بعض الصفات أكثر جاذبيةً، وتجعل المتلبّس بها يتّخذ سلوكًا خاصًّا في حياته، ويضحّي بالغالي والرخيص بل وحتّى بحياته لأجلها، هذه الصفات هي ما يشكّل هويةً خاصّةً للإنسان، وهي ما نسمّيه الهوية الثقافية، فهي ترتبط بالأوصاف والعناوين التي يتجلّى الاتّصاف في الآثار المترتّبة عليها، ويشمل هذا النوع من الهوية العرق والقومية والدين والانتماء الحضاري والجغرافي واللغوي وغيرها، ويمكن إدراج ما يشار إليه بالهوية الوطنية والهوية الدينية بوصفهما شعبتين من الهوية الثقافية وتحت هذا العنوان.

إنّ مقصودنا من الهوية في هذا البحث هو القسم الأخير من بين هذه الأقسام، أعني الهوية الثقافية على مستوى الفرد والمجتع، وقد نشير إلى سائر أقسام الهوية - خصوصًا الهوية السوسيولوجية - بما يتناسب وطبيعة البحث عن شبكات التواصل الاجتماعي حيثما احتجنا إلى ذلك.

ب- تعريف الهوية الدينية والهوية السيبرانية

لقد عرّف بعضهم الهوية الدينية على أساس آثار هذا النوع من الهوية ونتائجها، وخلصوا إلى أنّ الهوية الدينية هي مصدر السلوك الديني عند الإنسان [انظر: جوانى، هويت دينى يا هويتهاى دينى، ص 8]، ولكن يمكننا تحديد الهوية الدينية في سياق الدراسات الثقافية، التي تعرّف الهوية بأنّها الوعي بالذات الذي يمنح معنًى ما، ويمكن على أساسه تقديم تعريفٍ علّيٍّ لميٍّ، وهو أنّ الهوية الدينية هي تلك المعرفة بالذات التي تضفي معنى على الحياة البشرية، وتجلب معها الوعي والعقيدة والإيمان والتعلق بالدين والأيديولوجية الدينية، وبتعبير آخر،

إنّ الهويـة الدينيـة هي عبـارة عـن معرفـة الشـخص نفسـه مـن حيـث تعلّقـه بديـن خـاصّ ومـا يترتّـب عليهـا مـن مخرجـات قيميـة وإحساسـات. [عباسی، فضای مجازی در اندیشه‌ی اسلامی، ص 63]

بالنظـر إلى أنّ الرؤيـة الكونيـة والأيديولوجيـة الدينيـة واقعيـة، يمكـن القـول إنّـه بقـدر مـا يتوصّـل الإنسـان بفكـره وعقلـه إلى نظريـات حقيقيـة ورؤًى واقعيـة، ويؤمـن بهـا ويعتقـد بهـا بشـكل يكـون لهـا تأثـير على حياتـه، تتشـكّل هويتـه الدينيـة وتترسّـخ، وإن كان هـذا عـن غـير شـعور وإدراك. وبطبيعـة الحـال، ليسـت كلّ المعـارف على نفـس المسـتوى مـن الأهمّيـة والدرجـة، وكذلـك بسـبب الحجـم اللامتنـاهي للمعـارف فإنّـه لا يمكـن للإنسـان بنفسـه أن يكـون على درايـة بهـا كلّهـا لمحدوديتـه، في حـين أنّ الإنسـان المؤمـن قـد يحصـل على الحقيقـة بصـورة شـاملة بالإيمـان الكامـل بالديـن والاعتقـاد بـه والانقيـاد إلى تعاليمـه، على الرغـم مـن أنّـه قـد لا يعـرف مبـاشرةً حكمـة كلّ حكـم مـن أحكامـه.

أمّـا البحـث عـن الهويـة السـيبرانية فهـو البحـث عمّـا إذا كانـت الهويّـة الإنسـانية في عـصر الشـبكات الاجتمـاعي هي هويّـة لديهـا مـيزات خاصّـة تجعلهـا تختلـف عـن سـابقها أم لا، وهـل يمكننـا الحديـث أصـلًا عـن هويـة سـيبرانية أم لا؟ وكيـف تؤثّـر الشـبكات الاجتماعيـة السـيبرانية على الهويـة الإنسـانية؟ إنّ مسـألة الهويـة السـيبرانية هي مسـألة كيفيـة الـوعي بـ "الأنـا" أو "النفـس" في العـصر الرقـمي والشـبكات الاجتماعيـة السـيبرانية، وفي الإجابـة عـن سـؤال مـا إذا كانـت هويـة إنسـان شـبكات التواصـل والفضـاء الافـتراضي تختلـف عـن هويـة الإنسـان القديـم، تطرّقـت الكثـير مـن الدراسـات إلى علاقـة الهويـة الإنسـانية بالمـكان، فالإنسـان القديـم كان مقيّـدًا بالمـكان إلى حـدٍّ كبـير، وكان نـادرًا مـا يتنقّـل مـن مـكان ولادتـه إلى مـكان آخـر؛ لهـذا كانـت الهويـات أقـلّ عرضـةً للتغيـير، ولكـن مـع عـصر العولمـة، ودخـول وسـائل الإعـلام الجماهيريـة بـدأ يحصـل هـذا التغيـير، وأصبـح لدى البـشر فرصـة أكـبر للتغيـير، ومـع وسـائل التواصـل الاجتمـاعي اشـتدّ هـذا الأمـر وأصبـح الانسـان مقلـوعًا (Disembedded) كمـا عـبّر عنـه أنتـوني غيدنـز (Anthony Giddens)، بمعـنى أنّ عنـصر المـكان فقـد أهمّيتـه في تطويـر الهويـة، واسـتبدل بالمـكان (place or local) الفضـاءُ (space).

[Giddens, The Consequences of Modernity, p. 18]

والمقصـود مـن الفضـاء هـو الحـيّز الحديـث الذي يحـدث فيـه التواصـل بـدون الحاجـة إلى المواجهـة وجهـا لوجـه والاجتمـاع في مـكان واحـد [ibid]، فهـذا الأخـير هـو الذي يؤثّـر على الإنسـان الجديـد في هـذه الحالـة الجديـدة وليـس المـكان. وتجـدر الإشـارة إلى أنّ المـكان والفضـاء مختلفـان:

فالمكان ثابت ولكن الفضاء سائل، والمكان موحّد، ولكنّ الفضاء متكثّر و...، وبالنظر إلى هذا الاختلاف، يمكن للمرء أن يؤمن بتطوّر إنسان ما بعد الحداثة في هذا الفضاء، وما سنعالج هويته في هذا البحث.

أمّا "الهويّة الرقمية" (Digital identity) فهو مصطلح استخدمه كمبرغ (Mary-Lane Kamberg)؛ إذ يرى أنّ كلّ شخصٍ متّصلٍ بالإنترنت لديه هوية رقمية وإن كانت محدودةً، هذه الهويّة هي مجموع المعلومات المتعلّقة بالشخص في فضاء الإنترنت ... ويتمّ إنشاء الهوية الرقمية عبر الإنترنت ببطء وبالتدريج من خلال الأنشطة التي يقوم بها الشخص عبر الإنترنت، والتي تتضمّن معلومات مثل المواقع التي يزورها هذا الشخص، والألعاب التي يلعبها، والأشياء التي يحبّها ويفضّلها حين تسوقّه في هذا الفضاء، وتشمل الهوية الرقمية أيضًا ما يكشفه المستخدمون المهتمّون عن أنفسهم أو ما يقوله الآخرون عنهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكلّما زادت المعلومات المتوفّرة عنك، زادت قوّة هويتك الرقمية.

[Kamberg, Digital Identity: Your Reputation Online, p. 9]

أمّا "الذات على الإنترنت" (online self) فهو مصطلح آخر استخدمه هنغلداروم (Hengladarum)، ويقصد به ذات الإنسان أو هويّته عبر الإنترنت كامتداد لذاته الواقعية وغير المتّصلة بالإنترنت وبالفضاء الإلكتروني، تمامًا كالذات البشرية الحقيقية التي هي امتداد "للذات على النت" في الفضاء الحقيقي، ويتمّ عرض هويّة الشخص في الفضاء الإلكتروني مع ملفه الشخصي (profile)، ووفقًا لقاموس وبستر (Webster)، فإنّ الـ (profile) هو عَرض عامٌّ لشيءٍ ما، خاصّةً رأس الإنسان أو وجهه إذا تمّ عرضه من جانب واحد، كما يُطلق الملف الشخصي (profile) على مجموعة المعلومات - الغرافيكية غالبًا - التي تعرض أهمّ ميزات شيء ما [www.merriam-webster.com]. إنّ الملفّ الشخصي حسب ما هو متداول لدى مستخدمي الإنترنت هو مجموعة من المعلومات التي ينشرها الإنسان باختياره حول نفسه على الشبكات ويعرّف نفسه وهواياته وخبراته من خلالها، وقد عرفنا من خلال مفهوم "الهوية الرقمية" بأنّ الملف الشخصي لا يعطي صورةً كاملةً عن الإنسان، بل تتكوّن لديه هوية رقمية وفقًا لتلك المعلومات التي يمكن لمحلّلي الشبكة أن يحصلوا عليها من خلال تحليل نشاطات المستخدم في هذا الفضاء، والتي تشتمل على معلومات التي ينشرها المستخدم حول نفسه إراديًّا أو لاإراديًّا.

أخيرًا، يمكننا أن نستنتج أنّ هناك فارقًا بين مفهوم كلّ من "الهوية السيبرانية" و"الهوية

الرقمية" و"الذات على النت"، فإنّ الأوّل يشير إلى هوية الإنسان في عصر وجود شبكات التواصل التي تزوّده بهذه الإمكانية وتجعله متأثّرًا بها، فإنّ الإنسان وإن لم يستخدم إمكانية شبكات التواصل فعلًا، ولكن يمكن أن نقول بأنّه يتقمّص الهوية السيبرانية، ولكنّ الثاني يشير إلى المعلومات الرقمية الموجودة عن المستخدم في الفضاء الافتراضي الرقمي، ويُحصل عليها من خلال المعلومات التي يتركها المستخدم بصورة واعية أو غير واعية على النت، أمّا الثالث فهو بمعنى هويّة الإنسان ووعيه، بالنسبة إلى نفسه التي تصدر عنه تصرّفات خاصّةً حين الاتصال بشبكات التواصل.

المبحث الثاني: معارف عامّة حول الهوية

للهوية أحكامٌ متنوّعة وكثيرة، وسنركّز هنا على طرح معارف عامّة ضرورية حول الهوية بغضّ النظر عن الفضاء السيبراني، ولكنّها في الوقت نفسه ستساعدنا فيما بعد في دراسة العلاقة بين الهوية والفضاء السيبراني:

أ_ أنواع الهوية من حيث القيمة والمتانة

من الواضح أنّ الهويات ليست على مستوًى واحد من حيث متانتها واستحكام مبانيها، وتلبيتها لحاجات الإنسان النفسية والاجتماعية الأساسية؛ لهذا يمكن تقييمها وترتيبها بناءً على هذه الحاجات، ولا شكّ أنّ هذا التقييم له علاقة مباشرة مع مقدار الوعي بالهوية وابتنائها على أسس فكرية وعقلية وعقدية، ويمكننا تصنيف الهوية على هذا الأساس المذكور واستنادًا لرؤية المفكر جيمز مارسيا (James Marcia) بهذه الصورة:

1- الهوية الراكدة: الهوية التي اكتُسبت بسبب انتماء الشخص إلى العائلة أو الجماعة التي كان ينتمي إليها منذ البداية، وما يزال متصلّبًا فيها.

2- الهوية المتقلّبة: هي هوية لا تلتزم بأيّ جماعة أو بأيّ أساس خاصّ بالهوية، بل تتلبّس في كلّ زمان بلونٍ من الهوية.

3- الهوية المعلّقة: هي هوية تسعى للوصول إلى الحقيقة ولديها مسار مدروس مشخّص تطويه للوصول إلى الهوية الحقيقية.

4- الهوية المحصّلة: هوية تمّ الحصول عليها من خلال بحث ووعي، وتتحقّق هذه الهويّة للإنسان من خلال عكفه على البحث عن الحقيقة والتفكير والتعلّق بها [انظر: فيروزآبادى،

فضای مجازی، اجتماع و فرهنگ، ص 27]، ولا شكّ أن مثل هذا الشخص قد أنهى بحثه عن الهوية، لكنّ تعميق هويته هذه هو ما يصبو إليه بعد تحقّق الخطوة الأولى.

وطبعًا انطلاقًا من رواية أمير المؤمنين علي عليه السلام يمكننا أن نجد ما يشير إلى هذه الهويات أيضًا إذ يقول عليه السلام: «النَّاسُ ثَلاثَةٌ : فعالِمٌ ربّانيٌّ ، ومُتَعَلِّمٌ على سَبيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ» [نهج البلاغة، الحكمة 147]. ويمكننا أن نعدّ العالم الربّاني شخصًا وصل إلى الهوية المحصّلة، وهي تلك الهوية التي تتطابق مع الحقيقة والواقع، ومن خلال هاتين الخاصّيتين، أي العثور على الهوية ومطابقتها للواقع، يمكن اعتبار صاحب هذه الهوية قد بلغ مرتبة النفس المطمئنّة التي يشير إليها القرآن الكريم في الآية 27 من سورة الفجر. أمّا "المتعلّم على سبيل النجاة" فيمكن أن تنطبق عليه الهوية المعلّقة، وأمّا الأشخاص الذين دعاهم الإمام بـ "الهمج الرعاع" فيمكن أن تنطبق عليهم الهوية المتقلّبة. ومن يراجع الكتب اللغوية يجد بأنّ كلمة "المذبذب" وكلمة "الذباب" التي يقترب مفهومها من كلمة "الهمج الرعاع" لهما أصل واحد[1]، وقد عدّ القرآن الكريم هويةً كهذه للمنافقين، وقد استخدم صفة التذبذب في شأنهم، فقال: ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾ [سورة النساء: 143]. كما يمكن كذلك الإشارة إلى الهوية الراكدة في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [سورة المائدة: 104]، كما نقرأ كذلك في الآية 170 من سورة البقرة ما يشبه مضمون الآية السابقة: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾.

ويمكن لأيّ شخص إذا أراد أن يتجنّب الوقوع في شراك الهويات المذبذبة أو الراكدة أن ينخرط في شبكة من الأصدقاء الملتزمين والصالحين والذين يتّصفون بالحكمة، وأن يبتعد عن الانخراط في شبكات مضرّة ومجموعات غير صالحة، وبهذا يحصل على هوية محصّلة أو يكون في الطريق الصحيح لتحصيل مثل هذه الهوية. ولكن هناك رؤية أخرى تنظر إلى ظاهرة شبكات التواصل بصورتها المهيمنة وشكلها الغالب والطاغي لدى أغلب المستخدمين، وترى مدى تأثيرها على المجتمع وعلى هوية غالب أفراده. ولا شكّ أنّ الفضاء الافتراضي المتداول اليوم ليست السمة الغالبة عليه هي الحكمة والحقيقة، بل تسيطر عليه حالة الهواية، ويحتشي بالموادّ الإعلامية التي تتضمّن خلفياتٍ فكريةً خاصّةً، لا يستند غالبها إلى

1- راجع أي مصدر لغوي، تحت مدخل "ذبب".

أسس متينة وعميقة. إنّ حالة الهرج والمرج الإعلامي وسيطرة الشكّ والتعدّدية المعرفية وعدم الوضوح والسطحية هي من سمات الفضاء الافتراضي الحالي، ولا شكّ أنّ هذه الحالة المسيطرة في الفضاء الافتراضي على أكثر المستخدمين الذين يراجعون شبكات التواصل لأجل الهواية والتسلية لها أثرها في هوية السوادّ الأعظم منهم؛ لذلك فإنّ رواج الهويات المذبذبة أوّلًا، والهويات الراكدة التي يرتاد أصحابها عادةً المجموعات التي تشاركهم الفكر، هو نتاج طبيعي لمخالطة أفراد المجتمع لهذه الشبكات.

ب_ أهمّية الهوية الدينية

الهوية الدينية لا تقصي بقيّة الهويات، بمعنى أنّ تقمّص الهوية الدينية لا يعني وجوب تحقّقها للشخص هي دون غيرها من الهويات الأخرى، بل من الممكن أن يكون للإنسان هويات مختلفة: هوية وطنية وهوية قبلية وهوية تجارية بالاضافة إلى الهوية الدينية، وليس هناك أيّ مانع فكري أو ديني يحول دون هذا الأمر، أمّا المسألة الأهمّ هنا فهي أيٌّ من هذه الهويات يجب أن يحظى بالأولوية، ويستحقّ الاهتمام به وتعميقه وتطويره، في حالة الصراع بين الهويات.

هناك عدّة أسباب تجعلنا نحكم بأولوية الهوية الدينية، من جملتها:

1- الهوية الدينية هي أكثر شموليةً، وتتّسع لكلّ ما يحتاجه الإنسان من جميع الهويات الأخرى، وهي في الوقت نفسه أعمق وأدقّ ولها مقبولية أكبر من قبل العقل؛ فهي تحتوي في الوقت نفسه على الرؤية الكونية والأيديولوجيا، كما تبيّن ما هو كائن وتميّزه عمّا هو غير موجود، وما ينبغي فعله وما لا ينبغي، وتهتمّ بالدنيا كما تهتمّ بالآخرة، وكما تهتمّ بالفرد تهتمّ أيضًا بالشؤون الاجتماعية، وتلبّي الاحتياجات المختلفة لأنواع الشخصيات والأذواق منها العقلية والعرفانية وأتباع النقل وغيرها، فهي عميقة جدًّا وفي الوقت نفسه متعدّدة الطبقات، وتتمتّع بقدرتها على تلبيتها حاجات جميع المستويات من أبسطها إلى أعلاها. إنّ اتّساع الدين مع حفاظه على تماسكه وسلامته يعطي هويةً متماسكةً ومتكاملةً للإنسان دون توتّر وصراع. [انظر: بهاروندى، هويت‌سازى دينى و جهانى‌شدن، ص 33 - 51]

2- أنّ الدين يتوافق أيضًا مع الحقيقة والواقع، بالإضافة إلى وظائفه المذهلة التي لا مثيل لها، ومن آثار حقيقة الدين ونتائج صدقه أنّه مع أنّ نظرته للعالم صحيحة وتعاليمه واقعية، إلّا أنّ برامجه أيضًا تتناسب وخلقة الإنسان ومتوافقة مع فطرته، ويعود هذا كلّه إلى وحيانيته

وتأصّله في علم الله الأزلي، وهو خالق الكون والإنسان ومالك كل شيء.

3- يواجه الإنسان في مسيرة حياته، وبسبب طبيعة هذا العالم المادّي، كلّ أنواع المصاعب والمشاكل والمعاناة والأمراض والأحداث الطبيعية وغير الطبيعية وفقدان الأحبّة والظلم والنقص و... والتي تحمل على الإنسان بصورة قاسية، وهنا يتجلّى دور الهوية الدينية؛ إذ إنّها الوحيدة التي تسهّل على الناس تحمّل هذه المشاكل، بما تقدّمه من رؤية للإنسان ووعود بالفلاح والسعادة والمكافأة في الدنيا وفي الحياة الأبدية، بينما لا تؤدّي أيٌّ من الهويات الثقافية الأخرى مثل هذه الوظيفة المهمّة. [المصدر السابق]

4- أنّ الدين - بحكم انطباقه على الحقيقة والواقع - ثابت في مبادئه وأسسه النظرية والأيديولوجية، ولا يتأثّر بمرور الزمن وتغيّر المكان [المصدر السابق]، وهذه الميزة مهمّة وحيوية للغاية، خاصّةً في العالم في عصر العولمة؛ إذ يجبر الكثير من الأشخاص على مغادرة أوطانهم، والاستقرار في بلدان أخرى غير بلدانهم، وهذا ما يبعث على قلقهم بشأن الحفاظ على هويّتهم الخاصّة، وكذا نقلها إلى أطفالهم الذين قد لا يعرفون أوطان آبائهم أبدًا، ولا يزوروها حتّى نهاية عمرهم، على سبيل المثال المسلم الذي هاجر من بلده إلى الغرب، فإنّ ولده الذي يكبر ويترعرع في أجواء ثقافة غربية، فإنّه لا يتعلّق مثل والديه بثقافة بلدهما، فتحدث الفجوة الثقافية ومن ثمّ فجوة الهوية بين المهاجرين في الغرب وأولادهم، ولكن إن تمتّع الأولاد بالهوية الدينية التي لا تحدّ بحدٍّ ولا تنحصر بمكان ولا تضعّف وشائجها الهجرة وتغيير بيئة الحياة، فلن تحدث تلك الفجوة الثقافية بين الآباء والأبناء؛ لهذا فإنّ هذه الميزة الخاصّة بالدين هي أمرٌ حيويٌّ في زمن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، عندما يتفاعل الناس مع الهويات النازحة عن وطنها، بحيث يحتاجون إلى هوية قويّة غير محلّية.

بعدما تمّ توضيح أهمّية الهوية الدينية وضرورتها، فمن الضروري أيضًا دراسة العوامل التي تعزّز هذه الهوية أو تضعفها، وباعتبار أنّ الأشخاص في الشبكات الاجتماعية يتصرّفون وفقًا لهويتهم الثقافية الخاصّة، فإنّ فحص دور الشبكات الاجتماعية في تشكيل منصّة للتفاعل الإنساني بين الهويات الثقافية المتعدّدة مهمّ وضروري.

جـ الهوية والمجتمع

نتعامل في شبكات التواصل مع المجتمع على أنّه مجتمع سيبراني وافتراضي، وعلى هذا الأساس تحتلّ دراسة العلاقة المتبادلة بين الهوية الفردية والمجتمع مكانةً مهمّةً من حيث الأهمّية

والـضرورة، ويمكـن دراسـة هـذه العلاقـة مـن زوايـا مختلفـة، ومـن حيثيـات متنوّعـة منهـا مـا يـلي:

1- هويـة الفـرد وهويـة المجتمـع: هـل لدى المجتمـع هويـة مسـتقلّة غـير هويـة الأشـخاص؟ إذا قبلنـا أنّ المجتمـع ليـس مجمـوع الأفـراد فقـط، بـل له هويـة مسـتقلّة وقائـم بنفسـه، فإنّـه مـن بـين النتائـج المترتّبـة على ذلـك أنّـه قـد يكـون الأفـراد أناسًـا صالحـين، لكـن المجتمـع لا يكـون كذلـك، ولكـن إذا كان العكـس ولـم يكـن أفـراد المجتمـع مـن الصالحين، فهـل يمكـن للمجتمع أن يكـون صالحًـا؟ يبـدو أنّ الجـواب هـو لا؛ لأنّ صـلاح المجتمـع تابـعٌ لصـلاح أفـراده، وأنّ صـلاح المجتمـع يعتمـد على جـودة العلاقـات الـتي تحكـم أفـراده فيمـا بينهـم، والبنيـة الاجتماعية المتماسـكة ثانيًـا، فالمجتمـع الذي لا تتوفّـر فيـه أيٌّ مـن هـذه الـشروط لا يمكـن أن يكـون مجتمعًا صالحًـا، وبمعـنى آخـر إنّ صـلاح الأفـراد شرط لازم لصـلاح المجتمـع، ولكـن ليـس شرطًـا كافيًـا.

ولا شـكّ أنّ شـبكات التواصـل مـع مـا تتوفّـر عليـه مـن إمكانـات تـؤدّي إلى بـروز نظـام خـاصّ وهيكليـة خاصّـة للمجتمـع السـيبراني، فعـلى سـبيل المثـال، في هـذا المجتمـع يصبـح المشـاهير والفنّانـون بمـا لديهـم مـن مهـارة في جـذب النـاس وجلـب انتباههـم كقـادة للفكـر، ويصبـح لآرائهـم ونظراتهـم تأثـير على أفـراد المجتمـع أكـثر مـن سـائر شرائـح المجتمـع، فتجدهـم دائمًـا يضخّـون في المجتمـع مـوادّ إعلاميـةً تتضمّـن رؤاهـم ونمـط حياتهـم، وهـذا النظـام وهـذه الهيكليـة تعطـي هويـةً خاصّـةً للمجتمـع السـيبراني، وتؤثّـر بدورهـا على هويـة الأفـراد وهويـة المجتمـع الخـارجي، ومـن هـذه الناحيـة تصبـح دراسـة هندسـة شـبكات التواصـل وكيفيـة إدارتهـا وتأثيرهـا على هـذه الهيكليـة - وبالتـالي على هويـة المجتمـع وهويـة الفـرد - في غايـة الأهمّيـة.

2- الهويـة المتّصلـة والهويـة المنقطعـة: هـل تختلـف هويـة المرء عندمـا يكـون مرتبطًـا بالمجتمع عمّـا إذا كان منقطعًـا عنـه؟ وعلى نفـس هـذا المنـوال يمكننـا أن نسـأل هـل الإنسـان المسـتخدم لشـبكات التواصـل له هويـة مختلفـة عمّـن لا يسـتخدمها؟ إنّ الذات على الإنترنـت (online self) - كمـا أشرنـا إليـه سـابقًا - متّصلـة بالمجتمـع وتتـصرّف كعامـل مرتبـط ببنيتـه، ويمكـن دراسـة تأثـير الهويـة المتّصلـة (على سـبيل المثـال الهويـة المتّصلـة بمجتمـع ملـتزم ومحتشـم، وخصوصًـا الهويـة المتّصلـة بشـبكات تواصليـة كهـذه) على الهويـة المنقطعـة.

3- قـد يكـون الإنسـان في الفضـاء الإلكـتروني عضـوًا في مجمـوعات تختلـف أجواؤهـا مـن حيـث الرؤيـة الفكريـة والأيديولوجيـة، فكيـف يمكـن لهـذا التفاعـل الاجتمـاعي والانخـراط في هـذه المجمـوعات أن يؤثّـر علينـا فكريًّـا وسـلوكيًّا وأيديولوجيـا؟ هـل انخـراط الإنسـان في مجمـوعات

يتعارض بعضها مع بعض من الناحية الأيديولوجية يؤدّي إلى حدوث اختلال في تكوين هويته؟ وفي هذا الصدد هل الانضمام إلى مجموعات مختلفة في شبكات التواصل يمكن أن تكون معارضةً للدين أو محايدةً يؤدّي إلى تضعيف الهوية الدينية للإنسان أو تقويتها أو إلى القول بالتعدّدية والانفتاح أو غير ذلك؟ هل الانخراط في هذه الشبكات خصوصًا بالنسبة إلى عامّة الناس وأكثر أفراد المجتمع يجعلهم أمام بيئة متنوّعة، وفي معرض مجموعات فكرية مختلفة وحتّى متعارضة، أم أنّ هذا الأمر يتسبّب في التصفية الذاتية للمستخدم نفسه إذا ما ألزم نفسه بالانخراط فقط إلى المجموعات التي تناغم تفكيره، أو من خلال فقاعة التصفية (Filter Bubble) الخاصّة بالذكاء الاصطناعي حسب هوايات المستخدم وخصوصياته؟ كلّ هذه الموضوعات تستحقّ الدراسة والتعمّق ضمن هذا البحث.

4- الهوية الشخصية (personl identity) والاجتماعية (Social identity) والجماعية (Collective Identity): أمّا الهوية الشخصية فهي في نظر بعضهم موقف أفراد البشر تجاه أنفسهم وتفسيرهم لوجودهم [شکرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 77]، في حين أنّ الهوية الاجتماعية هي ذلك التصوّر الذي يحصل للإنسان عن نفسه جرّاء معاملة الآخرين له وردود فعلهم تجاهه وحكمهم عليه، فإنّ هذه الأمور تحدّد هويّته الاجتماعية [Carducci, The Psychology of Personality: Viewpoints, Research, and Applications, p. 478]، وأمّا الهوية الجماعية فهي تصوّر الإنسان حول نفسه على أساس الانتماء إلى مجموعة اجتماعية أكبر، على سبيل المثال، يعتمد المرء على التراث العرقي أو الميول الدينية أو الحضارية ويقول مثلًا: أنا فرنسي أو كندي. [Ibid]

لا شكّ أنّ كلّ هذه الهويات الثلاث الأخيرة التي مرّ ذكرها فوق لها علاقة وتأثير على بعضها البعض، فالهويّة الجماعية تحتّم تشكيل هوية اجتماعية، وهذه الأخيرة أيضًا لها تأثير في معرفة الإنسان هويّة نفسه وتشكيل هويته الشخصية. أمّا شبكات التواصل وانطلاقًا من هيكليتها فإنّها تصبغ الإنسان بهوية عالمية، وبما أنّ هندسة هذه الشبكات وإدارتها مصدره الغرب، فإنّ هندستها وإدارتها تجري على أساس رؤية كونية غير دينية وأيديولوجيا أنسنية، فنرى هيمنة الفكر النفعي عليها وعدم الالتزام بالقيم الأخلاقية والحثّ عليها، وعدم الاهتمام بفهم الحقيقة ونشرها، بل يروّج فيها للخرافات والشائعات والأكاذيب، وبهذه الطريقة سيؤدّي هذا الفضاء إلى تكوين هوية جماعية دولية أنسنية، وهذه الأخيرة بدورها ستؤثّر على الهوية الاجتماعية والهوية الشخصية. وبغضّ النظر عن سائر خصوصيات شبكات

التواصل، يمكننا القول بأنّ شبكات التواصل الحالية نظرًا لاستهدافها تكوين هوية دولية أنسنية، فإنّها ستؤدّي إلى تضعيف التديّن والمعنوية الدينية في المجتمات الدينية، مع التأكيد مجدّدًا على أنّها السبب الوحيد والعلّة التامّة لهذا التأثير، بل هناك أسباب ومقتضيات وموانع يجب أخذها بعين الاعتبار.

ومن جانب آخر، لا شكّ أنّ الدين الإسلامي يعتني بكلّ جوانب حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية وأبعادها، فهو يلعب دورًا مهمًّا على صعيد الحياة الاجتماعية كما في الحياة الفردية والشخصية للإنسان، ويؤثّر في تكوين الهوية الشخصية والاجتماعية والجماعية للإنسان؛ لهذا يمكن دراسة الهوية الدينية لدى الإنسان في كلّ أبعادها الشخصية والاجتماعية، ومنها الهوية الدينية للمجتمع وأهمّيتها وآثارها وتداعياتها.

إنّ الهوية الدينية تجعل الإنسان متمايزًا ومختلفًا عن الآخرين في عقيدته وأخلاقه وسلوكه، كما أنّ شبكات التواصل بحكم نظامها الخاصّ الذي يعدّ نظامًا فئويًّا متمايلًا إلى الثقافة العامّة تؤثّر على هوية الإنسان الدينية الفردية والاجتماعية، فهي تضعّفها أو تقوّيها حسب الحالة العامّة المهيمنة عليها ومستوى التديّن فيها واقتضاءاتها، وهذا كلّه يؤثّر على تكوين الهوية الجماعية للإنسان في المجتمع. وواضح كذلك أنّ التظاهر بالهوية الدينية ليس كالاعتقاد القلبي وقبول الهوية، فاقتضاءات المجتمع كما تساعد الإنسان على الالتزام بمعتقده قد تفرض عليه خلافه.

د_ مرونة الهوية

يصرّح بعض المفكّرين وهو غيدنز (Anthony Giddens) بأنّ الهوية ليست أمرًا ثابتًا، بل فيها شيءٌ من المرونة (reflexivity) فالناس يبنون هوياتهم ويغيّرونها على أساس الشرائط والمعلومات التي يتلقّونها [گیدنز، تجدد و تشخص، جامعه و هویت شخصی در عصر جدید، ص 82]، وهذا يشمل الهوية بكلا قسميها؛ أعني الفردية والاجتماعية، فهما ليسا أمرين ثابتين وقطعيين، بل هما في حالة تجدّد وإعادة صياغة على الدوام [Patrick, Identity and the politics of recognition, p. 42]، وبتعبير آخر، ليست الهوية ظاهرةً ذاتيةً، بل هي ظاهرة تاريخية مرتبطة بالظروف ونتاجٌ للعمل الاجتماعي، ومع أنّ الهوية تهرب من الثبات والانسداد، ولكن في الوقت نفسه يحكمها نوعٌ من الثبات والاستمرار النسبي [فیروزآبادی، فضای مجازی، اجتماع و فرهنگ، ص ۲۹]، وقد جعل جهاز الجوّال تغيير الهوية وسيّاليّتها أمرًا سهلًا. [هاشمی‌زاده و انصاری نسب، عصر مجازی، ص 74]

وبناءً على التعريف الذي قدّمناه للهوية بأنّها وعيٌ ذاتيٌّ صانعٌ للمعنى، فإنّ أيّ تغيّر جذري في هذا الوعي الذاتي يغيّر رؤيتنا للعالم، يؤدّي كذلك إلى تغيّر في الهوية. وبما أنّ معارفنا ليست على مستوًى واحد، وبعضها أكثر تأثيرًا من بعض؛ فمعارف مثل وجود الحقيقة وإمكان الوصول إليها، أو وجود الله ووجوب عبادته لا يمكن مقارنتها مع المعارف الجزئية من حيث التأثير في الهوية، وعليه فالتحوّل والتغيّر في المعرفة الجزئية لا يغيّر الكثير في هويّة الإنسان، لكنّ تغيّر الإنسان من الإيمان بالله إلى اتّباع أهوائه، وبعبارة أخرى من التوجه الديني إلى النزعة الإنسانية، سيغيّر هويّته جذريًّا ويغيّر معنى الحياة والعالم لديه. ولا يشكل علينا بأنّنا في الفلسفة قلنا بثبات "الأنا" وهذا يعني ثبوت الهوية، فقد أسلفنا أنّنا هنا نستكشف الهوية من منظور الدراسات الثقافية، وليس من منظور علم النفس الفلسفي الذي يرى استقرار الهوية وثباتها، وبالطبع قد يكون لنا موقف مختلف في المنظومات الفلسفية الأخرى، مثل موقف مدرسة الحكمة المتعالية، الذي يولي أهمّية للمعرفة والعلم، ويصوّر هوية الإنسان على أساس وحدة العاقل والمعقول، فعلى أساس هذه النظرية يتّحد العاقل مع معقوله، بل هو نفس معقوله في الوجود والحقيقة، فيمكن القول إنّه حتّى بالنسبة إلى بعض المدارس الفلسفية مثل الحكمة المتعالية هناك تغيّر للذات والهوية مع تغيّر المعارف الأساسية والجذرية، وفي هذه الحالة فإنّ أفق بحثنا هو قريب جدًّا بل منطبق على أفق مناقشة الهوية الفلسفية، التي تعتقد بهويّة مستمرّة وممتدّة طوال الحياة، شهدت تغيّرًا وحركةً وتطوّرًا تحت تأثير الحركة الجوهرية للجسد. على أيّ حال، ومن خلال نقاشنا الذي هو في مجال الدراسات الثقافية، يمكننا القول إنّ الهوية شيء تاريخي ومرن وسيّال ويمكن أن يمرّ بتغيّرات جوهرية.

وبحكمنا بمرونة الهوية وإمكان تغيّرها وإمكان انتقال الإنسان من هوية إلى هوية أخرى، فإنّ الهوية الدينية ليست مستثناةً من هذا الحكم الكلّي، ويمكن أن يحدث تغيير فيها، فتقوى وتضعُف، بل وحتّى تتبدّل إلى هوية غير دينية، وهذا لا ينافي فطرية الدين، فالإنسان موجود ذو إرادة واختيار، ويمكن أن يترك هويته الفطرية ويتلبّس بهوية غير الفطرية، ويمكن أن يمنع الفطرة من أن تسير على ما تقتضيه لوجود الموانع وتراكم الشبهات، والفضاء الافتراضي وشبكات التواصل كما يمكن أن تكون عاملًا مساعدًا على إيقاظ الفطرة البشرية وتقويتها والسير وفق مقتضياتها، يمكن كذلك أن تؤدّي إلى نتائج عكسية، فتحجب فطرة الإنسان وتحيي الميول والغرائز المعارضة لها، وتحرّك الموانع التي تعيق صحوة الفطرة وأداء وظيفتها في إدارة الإنسان على أساس ما تقتضيه، وهذا كلّه راجع إلى أنّ تأثيرات الفضاء الافتراضي وشبكات التواصل، ومع أنّ القسم الأهمّ منها في يد من يهندس

هـذه الشـبكات ويصمّـم بنيتهـا، ويديرهـا مـن خـلال سـنّ القوانـين وبرمجـة خوارزميـات بحيـث يتـصرّف في أفـكار النـاس كمـا يشـاء، إلّا أنّ هنـاك سـهمًا لا بـأس بـه بيـد المسـتخدم،حيث يمكنـه اختيـار المحتـوى المناسـبة للهويـة الدينيـة.

هـ ـ أزمة الهوية

يعـدّ إريـك إريكسـون (Erik H. Erikson) أوّل مـن تنـاول موضـوع هويـة الشـباب وأهمّيـة مرحلـة المراهقـة والشـباب في تكويـن هويـة الفـرد وتنميتهـا، وفي هـذا الصـدد تعـرّض إلى مفهـوم أزمـة الهويـة الـتي تحـدث نتيجـة عـدم الالتفـات أو عـدم الاهتمـام ببنـاء هويـة سـليمة في هـذه الفـترة الحاسـمة [Mandy & others, Podiatry, A Psychological Approach, p. 109]، ويـرى بعضهـم أنّ أزمـة الهويّـة ناجمـة عـن الـصراع أو التوتّـر بـين الهويـة الحقيقيـة (actual identity) من جهـة والهوية المثاليـة (ideal identity) والهويـة المرغوبـة (ought identity) [اميدى، شريفى، نظريه‌هاى رسانه، ص 131]، فينتـج هـذا الـصراع "التعـارض الذاتي" (self-discrepancy) .

[Crisp & Turner, Essential Social Psychology, p. 191]

إنّ الهويـة الحقيقيـة هي الهويـة الـتي يجدهـا الإنسـان في نفسـه، وجديـر هنـا أن نميّزهـا عـن الهويـة المتقمّصـة، وهي هويـة مزيّفـة يتقمّصهـا الإنسـان ويتـصرّف على أساسـها وهـو لا يمتلكهـا [هاشمی‌زاده و انصاری‌نسب، عصر مجازی، ص 94 و95]، أمّـا الهويـة المثاليـة فـهي هويـة يتمنّاهـا الإنسـان ويحسـبها مـن أحلامـه، ويتخيّـل نفسـه أنّـه متلبّـس بتلـك الهويـة، وأمّـا الهويـة المرغوبـة فـهي تلـك الهويّـة الـتي يتوقّعهـا المجتمـع مـن الشـخص،على سـبيل المثـال[2] تصـور أنّـك تعمـل في سـوبر ماركـت ولكـن شـخصيًّا تتمـنّى أن تكـون فنّانًـا، في حـين يحـب والداك ويتوقّعـا أن تكـون طبيبًـا، فهويتـك بوصفـك بائعًـا في السـوبرماركت هي هويتـك الحقيقيـة، وأن تكـون فنّانًـا هي هويتـك المثاليـة وأن تكـون طبيبًـا هي هويتـك المرغوبـة.

[Crisp & Turner, Essential Social Psychology, p. 191]

ويـرى المفكّـرون أنّ الـصراع بـين الهويّـة الحقيقيـة والهويـة المثاليـة ينتـهي إلى القنـوط والحـزن، ولكـنّ الـصراع والتوتّـر بـين الهويـة الحقيقيـة وهـذه الهويـة المرغوبـة ينتـهي إلى القلـق والخـوف

2- مثـال آخـر للهويـة المرغوبـة: هكـذا يشـعر أغلـب الطـلّاب المتميّزيـن في كثـير مـن البلـدان الشرقيـة بـأنّ مجتمعاتهـم تتوقّـع منهـم أن يهاجـروا إلى الغـرب والـدول الصناعيـة لمواصلـة التعليـم والعمـل، وإلّا لم يكونـوا نخبـةً أو أذكيـاء بقـدر كافٍ، فعليهـم أن يتقمّصـوا هويـة المهاجـر والمسـتوطن في الغـرب.

والغضب، والمهمّ هو أنّ لدينا في كلتا الحالتين أزمة الهوية والتعارض الذاتي [ibid]. ويبدو أنّه وفقًا للأنواع الأربعة للهوية التي ذكرناها سابقًا، يمكن القول إنّه من الضروري أن تكون للإنسان هويّة محصّلة أو على الأقلّ هوية معلّقة حتّى يجتنّب أزمة الهوية، فالشخص الذي يبحث عن الحقيقة ويسير وفق هوية مدروسة وواعية، لا يستبعد أن ينال الهوية المثالية، فهو غير مقيّد بآراء الناس وتوقّعاتهم، لكن من يملك هويّةً راكدةً أو هويةً متذبذبةً سيكون بلا شكٍّ معرّضًا للمعاناة من أزمة الهوية؛ لأنّ هويّته لا تستند إلى أسس عميقة وراسخة ومدروسة. وفي هذا الصدد من الضروري جدًّا لآباء الأحداث وأوليائهم والمسؤولين الذين يعتقدون بالهوية الإسلامية والدينية وضرورة تفعيلها أن يتقرّبوا من الشباب، ويحاولوا أن يوعّوهم ويجعلوهم يتحلّون بالواقعية، وأن يقدّموا لهم الدين بشكل صحيح. وقد ورد في الأحاديث عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «لو أُتِيتُ بشاب من شباب الشيعة لا يتفقّه لأدّبته» [البرقي، المحاسن، ج 1، ص 357]، وفي حديث آخر له قال عليه السلام: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة» [الكليني، الكافي، ج 6، ص 47]؛ وذلك لأنّ الشاب عندما يقتنع بمذهب ما يتّخذه أساسًا، ويتّخذ موقفًا دفاعيًّا في مواجهة المذاهب الأخرى، ويتعامل مع بعض تعاليمها كشبهات يجب دفعها؛ لذلك إذا حصل الإنسان على هوية محصّلة، وكانت هويّةً دينيةً، فعليه أن يسعى لأن يلبّس أولاده بها.

المبحث الثالث: الفضاء الافتراضي وهويّة الإنسان

أ ـ الشبكات الاجتماعية والهويّة ما بعد الحداثية

لم يخف على مراقبي تاريخ الفكر والفلسفة والثقافة تأثير وسائل الإعلام في ظهور عصر ما بعد الحداثة، وبالطبع فقد كان لوسائل التواصل الاجتماعي والرقمي إسهامٌ كبيرٌ في اقتراب هذا العصر من ذروته وازدياد حدّته، من خلال التمييز بين وسائل الإعلام.

يعدّ مارك بوستر (Poster Mark) وسائل الإعلام القديمة وسائل إعلام من العصر الأوّل، في حين يرى أنّ وسائل التواصل الاجتماعي وسائل إعلام من العصر الثاني، ويتجسّد الواقع فيها بشكل متعدّد الطبقات. [باستر، عصر دوم رسانه‌ها، ص 63]

لقد أحدثت هذه الوسائط ثورةً كبيرةً في الثقافة والطريقة التي يتمّ بها بناء هوياتنا [المصدر السابق، ص 52]؛ لهذا يعدّ بعضهم الشبكات الاجتماعية السيبرانية عاملًا مساعدًا لظهور

الهويّة ما بعد الحداثية، ويرون أنّ هذه الهويّة تتحقّق في الإنترنت بما توفّره من إمكانية لعرض الذات من خلال الملفّات الشخصية، واستخدام لغة الإعلام لعرض الذات و"الأنا" بشكل مرقّع.

[.Hartley & Others, A Companion to New Media Dynamics, p. 358]

في فترة "ما قبل الحداثة" كان يُنظر إلى الهويّة على أنّها حقيقة ثابتة، فيُقدّم للإنسان شيءٌ يهب معنًى لوجوده ويحدّد هويته، وهذا ما كان موجودًا عند كلّ الناس؛ لذا فإنّ الهويّة شيءٌ ثابتٌ ولن يكون للعالم الاجتماعي والثقافي وما إلى ذلك أيّ تأثير عليها [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 67]، ومع ذلك فإنّ العضويّة في الشبكات في العصر الحديث اختيارية، وليست إجبارية، وأصبح التسامح مع الآخرين أكثر حضورًا في الإنسان، وبما أنّه مسؤول عن أفعاله وخياراته، فهو أكثر خوفًا من ذي قبل [المصدر السابق، ص 68]،

ولكن كيف تروّج وسائل التواصل الاجتماعي لهويّة ما بعد الحداثة؟ وفقًا لديفيد ديكنز (David Dickens) أنّ الذات ما بعد الحداثية حصلت في إطار وسائل التواصل الاجتماعي والشبكات على ذريعة للتشكيك في جميع الافتراضات بسبب تعرّفها على وجهات النظر المختلفة، وفي إطارٍ كهذا، فإنّ الذات على الإنترنت (online self) التي يتعارض نمط تفكيرها مع نمط تفكير عموم الناس لا تجد نفسها وحيدةً، بل تجد الكثير من الأشخاص الذين يشاركونها الفكر والعمل، ويضرب ديكنز مثالًا لذلك العائلات التي لا ترغب في إنجاب الأطفال.

[Volsche, Shelly, Voluntarily Childfree: Identity and Kinship in the United States, p. 21]

ويعدّ مارك بوستر (Mark Poster) التواصل القائم على الوسائط الإلكترونية عاملًا رئيسيًّا في تكوين عقليات غير مستقرّة ومتعدّدة الهويّات، والتي بالإضافة إلى أنّها ترمي المعتقدات السابقة بسهام الشكّ والترديد، فإنّها تعزّز كذلك إمكانية تكوين هويّات مجزّأة وغير مستقرّة؛ إذ يمكن للأشخاص إعادة إنشاء أنفسهم وعالمهم في البيئة الافتراضية، وأصبح بامكان الأشخاص في غرف الدردشة الافتراضية أن يبدوا بالضبط كما يريدون أن يكونوا، وبالصورة التي يتمنّون أن يراهم الآخرون عليها [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 73]، كما يرى بوستر أنّ أهمّ نتيجة للوسائط الإلكترونية الجديدة هي انتشار الهويّة ما وراء الوطنية ما بين مستخدميها. [المصدر السابق، ص 18]

ب_ خصائص الهويّة أو الذات ما بعد الحداثية

ليست ما بعد الحداثة مدرسة فكريّة بالمعنى الدقيق في نظر بعضهم، كما أنّها ليست حركةً فكريةً موحّدةً لها هدفٌ محدّدٌ، كما وليس لها منظّر أو متحدّثٌ رسمي معيّن [وارد، پستمدرنيسم، ص 15]، فما بعد الحداثة هي مجموعة من الأفكار التي تحاول تعريف أو شرح الحالة الراهنة للمجتمع [المصدر السابق، ص 16]، وربّما لهذا السبب أطلق جون فرانسوا ليوتار (Jean-Franois Lyotard) على كتابه المهمّ عنوان "الوضع ما بعد الحداثي" (The Postmodern Condition)، الذي يصف فيه ما بعد الحداثة.

وفقًا لبعضهم، يمكن تحديد واقع ما بعد الحداثة، بكلّ تنّوعاته وإمكانية الاختيار بينها، في فكرتين رئيسيتين:

1- لا يوجد طبيعة (nature) مشتركة أو حقيقة عامّة، أو عالمٌ واحد، أو فكر موضوعي ومحايد.

2- أنّ جميع الأنظمة البشريّة مثل لغة لها مرجعيتها الذاتية التي تعكس ذاتها، ولا تشير إلى حقيقة أخرى.

[Ermarth, Routledge Encyclopedia of Philosophy, Postmodernism, 1998]

من الواضح أنّ الفكرة الثانية ناتجة عن الفكرة الأولى، فإنّنا إن لم نعتقد بعالم واحد تتحقّق فيه الأفكار والنظم الفكرية، وإن لم نعتقد بحقيقة عامّة تقاس بالنسبة إليها الأفكار وتقارن بها الرؤى، كانت النتيجة أن نعتقد بالمرجعية الذاتية لكلّ واحد من الأنظمة الفكرية، ولا يمكن حينها الحصول على مبنًى مشترك لها، بل يصبح لكلّ منها لعبته اللغوية الخاصّة حسب تعبير فيتغنشتاين (Wittgenstein)، وهذا ليس إلّا وجهًا آخر للنسبية التي وقع فيها الفكر ما بعد الحداثي وما قبله كذلك، فمع كلّ ما تعانيه المعرفة من ضعف بنيوي، إلّا أنّه لا يمكن إثباتها وتقييمها على أساس معايير خارجية، وهذا ما لا يقبله العقل الفلسفي ولا الفكر الديني، بل هناك معارف بدهية يرجع إليها العقل العملي وكذا العقل النظري. هذا من منظور معرفي (إبستمولوجي) ولكن يمكن كذلك، بل يجدر دراسة الموضوع من زاوية أخرى وهي زاوية علم اجتماع المعرفة، أو فينومنولوجيا المعرفة بمعنى دراسة المعرفة من حيث قبولها وتداولها لدى الناس والمجتمعات المختلفة في أزمنة مختلفة، بغضّ النظر عن صحّتها وسقمها.

ويبدو أنّ "مناهضة المركزيّة والمرجعية" في وضع ما بعد الحداثة يؤثّر أيضًا على الهويّات التي تعيش في هذا الفضاء، فمنظّرو ما بعد الحداثة يرون أنّ الهويّات ليست ثابتةً أو متأصّلةً أو غير قابلة للتغيّر بأيّ حال من الأحوال، وبدلًا من ذلك، يؤكّد ما بعد الحداثيون على الهويّة غير المتأصّلة والتاريخيّة والسائلة للإنسان، فضلًا عن تشتّت الفرد وتفكّكه. [شكرخواه، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، ص 72]

وقد تعرّضنا نحن إلى مسألة مرونة الهوية وأقررنا بإمكانية تغيّر الهوية وكيفيتها، فعلى أساس الوضع ما بعد الحداثي يمكن أن تتحقّق الهويات المتنوّعة في مجتمع واحد، بل في فرد واحد، وليس في حقبات طويلة من الزمان وحسب، بل حتّى في حقبة زمنية واحدة بتغيّر الأوضاع والحالات، دون انتباه ولا حتّى اكتراث للتعارض أو عدم الانسجام بين هذه الهويات. فعلى سبيل المثال إذا كانت الهوية الرسمية للمجتمع الغربي في القديم هي الهوية الدينية، وفي عصر النهضة والتنوير كانت الهوية الرسمية هي الهوية الأنسنية، ولكن في وضع ما بعد الحداثة ليست عندنا هوية رسمية، بل يُعترف بأيّ هوية دينية أو غير دينية في ذلك المجتمع، أو بالتعدّدية المعرفية.

وفي الوقت الذي يُعتقد فيه بأنّ الهويّة الحداثية أكثر انفتاحًا وديناميكية، وأنّه يتمّ تعلّمها واكتسابها، غالبًا ما توصف هويّة ما بعد الحداثة بأنّها غير آمنة وقلقة وانسيابية ومتعدّدة.

[Behrends, How to Conceptualise a Postmodern Unterstanding of Identity in Relation to "Race", p. 5]

وإذا كانت الهويّة الحداثية ماهويةً (Essential)، فهويّة ما بعد الحداثة يمكن عدّها بنيويّةً (Structural)، وبعبارة أخرى، تتعامل ما بعد الحداثة مع الهويّة باعتبارها شيئًا يجري بناؤه باستمرار، وترى وجهة النظر هذه أنّ الهويّة مجزّأة (fragmented) وليست موحَّدةً (Unified)، ومتعدّدة (Multiple) وليست منفردةً (Singular)، وموسّعة (Expanse) وليست محدودةً.

[Bounded) (Kumaravadivelu, B. Anonimo, Cultural Globalization and Language Education, p. 143-144]

إنّ هويةً بهذه الميزات والخصائص التي خلّفها وضع ما بعد الحداثة، والتي تكوّنت وتطوّرت في إطار شبكات التواصل والفضاء السيبراني، تستحقّ الدراسة من جوانب مختلفة، خصوصًا من زاوية علم النفس، حيث تدرس تأثيرات التلبّس بهذه الهوية القلقة والإنسيابية والمتعدّدة والمجزّأة والمنفردة والموسّعة على نفس الإنسان، وهل يؤدّي عدم الثبات

والالـتزام بهويـة واحـدة متينـة إلى حرمـان الإنسـان مـن ملجـإٍ وحصـنٍ في مواجهـة صعوبـات الحيـاة، وتأثـير هـذا الأمـر على مبتـغى إنسـان في الحصـول على معـنى للحيـاة وعـدم الوقـوع في فـخّ العدميـة وسـائر الأمـراض النفسـية، كذلـك تسـتحقّ الهويـة مـا بعـد الحداثيـة الدراسـة في ضـوء علـم الاجتمـاع، إذ يُـدرس تأثـير عـدم وجـود هويّـة رسـمية شـاملة على كيفيـة تـصرّف النـاس في ذلـك المجتمـع، ومـا إذا كان الفـرد المتجـزّئ الذي لا يحظـى بهويـة شـاملة ومتينـة وعميقـة يهتـمّ للمجتمـع الذي يعيـش فيـه، ويضـحّي بالغـالي والنفيـس لأجـل تقـدّم ذلـك الجتمـع والدفـاع عنـه. وبمـا أنّ بحثنـا يـدور حـول معالجـة الهويـة الناتجـة عـن هـذه الشـبكات وعلاقتهـا بالديـن وظاهـرة التديّـن، يمكـن القـول إنّ الديـن مـا دام يـصرّ معرفيًّـا على وجـود الحـقّ والحقيقـة، ويعـدّ الطـرق غـيره طـرق ضـلال: ﴿**فَمَـاذَا بَعْـدَ الْحَـقِّ إِلَّا الضَّـلَالُ**﴾ [سـورة يونـس: 32]، كمـا أنّ الديـن يتطلّـب الالـتزام القلـبي المسـتمرّ بـالله، والإيمـان بـكلّ تعاليمـه مـن طـرف الفـرد، كمـا يحـذّر مـن وقـوع التفرقـة بـين المؤمنـين ويدعـو إلى الاعتصـام بحبـل الله في الوقـت الذي يقـرّ بوجـود الثقافـات المختلفـة، وكـذا الهويـات القوميـة والشـعوب المتنوعـة، ويـرى أنّ هـذه الظاهـرة هي مـن سـنن الله لأجـل حصـول التعـارف بـين النـاس، وليـس لأجـل ابتعادهـم وتفرّقهـم، فـإنّ هندسـة شـبكات التواصـل وإدارتهـا بمـا هي عليـه تسـير خـلاف مقاصـد الديـن وتضعّـف الهويـة الدينيـة.

ووفقًـا لأليسـون كرامـر (Alison Kramer) فإنّـه على عكـس الذات الحداثيّـة الـتي كانـت تـولي اهتمامًـا لتطلّعـات المجتمـع وتسـعى لإرضائهـا والسـير وفقًـا لهـا، لا تتوفّـر الهويّـة مـا بعـد الحداثيـة على هـذه السـمة، ولا يهمّهـا مـا يعتقـده الآخـرون حولهـا، بـل مـا يهـمّ هـو كيـف يبـدو الشـخص بالنسـبة لنفسـه هـو، وأنّـه ذلـك الشـخص الحقيـقي الذي يجـب أن يجعلـه سـعيدًا، وإذا تطلّـع الشـخص إلى الإعجابـات فليـس ذلـك لتأكيـد سـلوكه، ولكـن لتأكيـد وضعـه الاجتمـاعي، ووفقًـا له فـإنّ الأشـخاص الذيـن يكتبـون تعليقـات على الويـب عادةً مـا يشـعرون بـلذّة هائلـة مـن إظهـار ذاتهـم بصـورة رافضـة ومناهضـة لرؤيـة المجتمـع.

[Kramer, UnMarketing: Stop Marketing, Start Engaging, p. 115]

إنّ هـذه المـيزة أعـني عـدم الاهتمـام مطلقًـا بمـا يرتضيـه المجتمـع أمـرٌ لا يستحسـنه الديـن، بـل إنّـه يفصّـل في ذلـك بـين مـا إذا كان المجتمـع مسـلمًا فيطلـب مـن المتديّنـين حينهـا اللجـوء إليـه، وبـين مـا إذا كان المجتمـع غـير مسـلمٍ فيطلـب الديـن الإسـلامي تركـه إذا مـا أحـسّ الشـخص بـأنّ إيمانـه في معـرض الخطـر، والثقافـة الإجتماعيـة الإسـلامية الـتي تسـاهم في تشـييد الهويـة الدينيـة للإنسـان وترسـيخها إنّمـا تتحقّـق بالاهتمـام بأحـكام الديـن كالأمـر بالمعـروف والنـهي عـن

المنكـر والتـواصي بالخـير والحـقّ، وغيرهـا مـن الأمـور الـتي يتطلّـب تفعيلهـا وتأثيرهـا أن لا يكـون الإنسـان خامـلًا، بـل له إحسـاس بالمسـؤولية، وأن يكـون مهتمًّـا بالمجتمـع ونظرتـه إليـه.

ويجـادل بعـض النقّـاد بـأنّ ما بعـد الحداثـة قد أزالـت محوريّـة فاعـل الإدراك الفـرديّ لدرجـة أنّ الهويّـات أصبحـت فارغـةً وسـطحيةً، تتلاعـب باسـتمرار بالنصـوص والصـور الـتي تعكـس الواقـع اليـومي في مجتمعـات مـا بعـد الحداثـة، لكـن مـن وجهـة نظـر المؤيّديـن، فـإنّ مـا بعـد الحداثـة لا تـؤدّي إلى فقـدان أو إضعـاف الضمـير، بـل لهـا تأثـيرٌ تحريـريٌّ للأفـراد، فالضمـير مـا بعـد الحـداثي هـو ضمـير يعمـل بحرّيـة وخـالٍ مـن القيـود البنيويـة للمجتمـع الحديـث، وبهـذا المعـنى، فإنّ السـمة الرئيسـيّة لمـا بعـد الحداثـة هي قـدرة الفـرد على بنـاء هويّـات حـرّة خاليـة مـن التقاليـد والطبقيّـة، وبالطبـع، في مجتمـع مـا بعـد الحداثـة، حرّيـة اختيـار الهويّـة الشـخصيّة هي نفسـها حرّيـة اسـتهلاك ، ويقـول زيغمونـد باومـان (Zigmunt Bauman) إنّـه في عالـم مـا بعـد الحداثـة الذي يتشـكّل مـن خـلال الصـور الكثـيرة المتلاحقـة والمـوادّ الاسـتهلاكية المتنوّعـة، يمكـن تغيـير الهويّـات تمامًـا مثـل تغيـير عادات التسـوّق، ولكـن هنـاك وجهـة نظـر ثالثـة تعـدّ مـا بعـد الحداثـة مسـاحةً ثالثـةً لـم تختـف فيهـا مقـولات مثـل الطبقيـة والجنـس والعـرق تمامًـا، ولكنّهـا تحوّلـت إلى مظاهـر تعكـس المقـولات الآنفـة ذكرهـا بصـورة أكـثر وعيًـا بالهويّـة الاجتماعيـة. [شـكرخواه، فضـای مجـازی، ملاحظـات اخلاقـی، حقوقـی و اجتماعـی، ص 73 - 75]

ولا شـكّ في أنّ التعقّـل والتعمّـق والتفقّـه في الديـن الذي يتطلّـب حرّيـة الفكـر والتعبـير وحـتّى العقيـدة ﴿**لَا إِكْـرَاهَ فِي الدِّيـنِ**﴾ [سـورة البقـرة: 256] مـن أهـمّ الأمـور مـن منظـار الديـن الإسـلامي، ولكـنّ كلّ هـذا لا بـدّ أن يتـمّ بصـورة منضبطـة وبعيـدًا عـن التهـاون بالأمـر، مـا يـؤدّي إلى اختيـار هويـة واعيـة متينـة، أمّـا الحرّيـة بمعـنى التهـوّر والطيـش واللامبـالاة وعـدم التقيّـد بـأيّ معيـار وقيـد، بحيـث يتلبّـس الإنسـان بـأيّ هويـة - وإن لـم ينطبـق على المعايـير الدينيـة - كمـا يتسـوّق ووفقًـا لمـا يحلـو له، فهـذا ليـس أمـرًا محبّـذًا في نظـرة الديـن، فهويّـة الإنسـان تعـيّن نمـط حياتـه، وتضمـن سـعادته إذا كان هويـةً صحيحـةً، وتتسـبّب في شـقائه إذا كانـت هويّـةً باطلـةً، ولا يجـوز للإنسـان أن يأخـذ أمـرًا بهـذه الأهمّيـة باسـتهزاء.

جـ. المحاكاة الافتراضية.. الهويّة المرقّعة والتفكير السيّار

يعتقـد بعضهـم أنّ الافتراضيـة قـد انتهكـت مبـدأ "أن نكـون معًـا" [شـايگان، افسـون زدگـی جديـد، هويـت چهـل تكـه و تفكـر سـيار، ص 337]، ويضيـف أنّ الافتراضيـة تـؤدّي إلى تفاعـل شـامل وعلى

نطاق واسع جدًّا، أمّا نتيجة هذا النوع من التواصل فهو أن تتجمّع جميع الثقافات مثل فسيفساء مع بعضها، وتخلق مجالاتٍ للتمازج والاختلاط الثقافي فيما بينهما [المصدر السابق، ص 14]، ويعتقد هذا المفكّر بأنّ مثل هذا الموقف أدّى إلى عدم اعتبار الحقائق الميتافيزيقية العظيمة التي تكمن وراء الأنطولوجيات السابقة، وبالتالي هناك العديد من التفسيرات المختلفة، بحيث يحقّ لكلّ شخص تفسير جوانب الوجود بناءً على قيم عقله، كما يعتقد بأنّ وعي الإنسان ومعارفه توسّعت إلى حدٍّ لم يعد بمقدرة أيّ ثقافةٍ أن تجيب بمفردها على كلّ حاجات الإنسان؛ لذا فإنّ الهويّة البشريّة في مثل هذه الظروف تتّصف بالتعدّدية، وعلى حدّ تعبير شايغان تظهر بأربعين وجهًا، ويرى كذلك أنّه نتيجةً لهذه الأحداث، أصبحت تُرفض الأفكار الموحّدة والأنظمة الفكرية المتشعّبة، وعلى العكس من ذلك، يُحترم "الفكر السيّار"، وينمو التعاطف، وتهجين الثقافات بعضها مع بعض. [المصدر السابق، ص 15]

وأصبح باستطاعة الشخص "متعدّد الهويّات" الجمع بين الأشياء ومنحها ترتيبًا جديدًا باستخدام الموارد اللانهائية التي توفّرها الروابط الثقافية، وبفضل هذه الإمكانيّات، تمكّن الإنسان من إنشاء موطنٍ شخصيٍّ ومتناغم لنفسه، ويضيف أنّ الافتراضية جعلت العالم أكثر وضوحًا، وقلبت العلاقة بين الداخل والخارج باستخدام موبيوس (Möbius)[3]، وعزّزت الخاصّية الجذمورية[4] للشبكات، وقيم التفكير السيّار، وسهّلت تقاطع الثقافات، وبالتالي لقد منحتنا الهويّة ذات الأربعين وجهًا والشكل الفسيفسائي والمتنوّع للعالم منزلةً وقدرًا.

ومن الواضح جدًّا قرابة التوصيف الذي يقدّمه هذا المفكّر من هويّة سيّارة وهوية ذات أربعين وجهًا حسب تعبيره ممّا قدّمناه حول الهوية ما بعد الحداثية، ولكن من جانب آخر يبدو من كلامه وكأنّه يوصي بأن نتعامل مع العالم الجديد وما بعد الحداثة كتعامل المتأثّرين بهذه الثقافة معه، وكما هو واضح فهو خلط كبير بين النظرة المعرفية ونظرة علم اجتماع المعرفة وفينومنولوجيا المعرفة، فنحن حتّى وإن سلّمنا بأنّ الناس المتأثّرين بالثقافة ما بعد الحداثية يتعاملون كلّهم أو جلّهم وفقًا لهذه الثقافة، ولكنّ هذا لا يعني بأنّ هذه الرؤية صحيحة معرفيًّا؛ لهذا فإنّ ما بعد الحداثيين فقدوا البوصلة، وأخطؤوا في تحديد مسيرهم وكيفية تعاملهم مع الأمور في هذا الوضع.

3- في نظر شايغان لا توجد صفة الداخل والخارج في موبيوس، ولا يوجد تمايز واضح في الفضاء الافتراضي بين الثنائيات كالعمومي والخصوصي، والمؤلّف والقارئ، والذهني والعيني.

4- يتميّز الاتّصال أو الارتباط الجذموري بفقدان المركزية والتسلسل الهرمي والقيادة المطلقة؛ هذا لأنّه في النصّ التشعبي لشبكة الويب العالمية، يمكن ربط أي نقطة مباشرة بجميع النقاط الأخرى. [شايغان، افسون زدگى جديد، ص 338 - 342]

د_ الشبكات الاجتماعية السيبرانية والهوية البشرية الحقيقية

ينطلق ألبرت بورغمان (Albert Borgmann) من تأثير الشبكات الاجتماعية السيبرانية على الهويّة البشرية الحقيقيّة واليوميّة، ويتّخذ من هذا التأثير مقياسًا في تحليل هذه الظاهرة التكنولوجية، ومن خلال اقتراح فكرة الواقعية المفرطة (hyperreality) أو المعلومات بمثابة الواقع وهيمنتها على العالم الحقيقي، ويعتقد بورغمان أنّ التعلّق بالإنترنت يضعّف ويدمّر العلاقات الإنسانية مع الآخرين في الفضاء الواقعي، ووفقًا لبورغمان فإنّ هذا الدمار والتحوّل يحدث في الشبكات الاجتماعية حينما يصطنع الناس نسخًا غير طبيعيّة من ذواتهم وعرضها للآخرين لأجل الترفيه والمرح، بدل أن يسمحوا لهويّاتهم الحقيقية بتماميتها وتعقيدها بالبروز، ومن وجهة نظر بورغمان، يكمُن خطر الواقعيّات المفرطة في أنّنا بعد عودتنا من رونقها غير الواقعي الذي لا يمتّ بصلة إلى الحقيقة العضويّة والموضوعيّة التي لا تتمتّع - بطبيعة الحال - بمثل هذا الرونق، نشعر بالإرهاق والخيبة، ويقارن بورغمان بريق الواقع الافتراضي بكآبة الواقع الحقيقي في كتابه "الاعتماد على الواقع" الصادر عام 1999، فيصف الجماعية عبر الإنترنت بأنّها سجونٌ متعدّدة المستخدمين، ومساحة افتراضية ضبابية تتسلّل إلى مجموعات بشريّة حقيقيّة وتجعلها مبهمةً وغامضةً

[Vallor, Social Networking and Ethics, from: https://plato.stanford.edu/entries/ethics-social-networking/].

ومن الأمثلة التي يستشهد بها بورغمان في هذا الصدد وضعية "ديبورا ورالف"، اللذين لم يكونا قادرين على التفاعل في العالم الحقيقي، ولكن كان يمكنهما التفاعل بسهولة مع بعض من خلال الرسائل وعبر الإنترنت، ووفقًا لبورغمان فإنّ هذا الأمر لم ينجح في علاج خجل رالف حقًّا، كما لم تتعلّم ديبورا كيفيّة كسر الجليد وتتعلّم التعامل في الفضاء الحقيقي، وبدل ذلك استخدم كلاهما الإنترنت لإنشاء نسخ من ذاتيهما كانت لها فعلًا مزايا وسمات يفتقران إليها، ولم يعد لديهما بذلك أيّ داعٍ للحصول على تلك المزايا والسمات في عالم الحقيقة لحصولهما عليها افتراضيًّا، ووفقًا لبورغمان، يسمع المرء أحيانًا حكايات عن بدايات افتراضية لها نهايات سعيدة حقًّا، لكن وفقًا لديفيد بناهوم (David Bennahum) غالبًا ما يواجه ذوو التجارب والسوابق في الواقع الافتراضي قصص الصداقات الشبكية التي دمّرتها الحياة الواقعية، ووفقًا لبورغمان، فإنّ السبب في ذلك هو هيمنة ميزة "المعلومة بمثابة الحقيقة" في الفضاء الإلكتروني، التي تجعل الشخص أقلّ قابليةً

لأن يكـون شـخصًا، وتجعـل الحقيقـة أقـلّ واقعيـةً.

.[Borgmann, Information and reality at the turn of the century, p. 30]

ويشـير بورغمـان إلى انفصـال فضـاء وسـائل التواصـل الاجتمـاعي عـن المـكان وانتمـاء الإنسـان في هـذا الفضـاء إلى اللامـكان، ويعتقـد أنّـه إذا كان المـرء في الفضـاء الافـتراضي حـاضرًا بغـضّ النظـر عـن مكانـه في العالـم، فهـذا يعـني أنّـه لا يوجـد أحـد حـاضرٌ حقًّـا؛ لأن التواجـد في المـكان شرط في الحضـور، ومـن ناحيـة أخـرى، يعتقـد أنّ الحضـور في الإنترنـت ضعيـف؛ إذ يمكـن حظـر الأشـخاص المملّـين على الإنترنـت وقتمـا نريـد، وبالإضافـة إلى ذلـك يمكننـا أيضًـا اسـتخدام أدوات المراقبـة للتخلّـص مـن الأشـخاص الذيـن يسـبّبون الإزعاج كي نبـقى في مأمـنٍ مـن إزعاجهـم، كمـا تحرمنـا الشـبكات الذكيّـة الواسـعة النطـاق مـن المواجهـات الطارئـة مـع الأشـخاص الذيـن نلتـقي بهـم في الحفـلات الموسـيقية والألعـاب والمؤتمـرات السياسـية، ومـن ثـمّ فنحـن حاليًّـا متّصلـون فقـط للترفيـه والمعلومـات الـتي نهتـمّ بهـا في هـذا الفضـاء، ومثـل هـذا التواصـل غـير القابـل للتغيـير يخلـق حرمانًـا مضاعفًـا في حياتنـا؛ فـلا يمكننـا رؤيـة الأشـخاص مـن حولنـا ونُحـرم مـن توجيهاتهـم والأحـكام الـتي نتلقّاهـا منهـم عندمـا نكـون عندهـم ومعهـم، كمـا نحـرم مـن الأجـواء الاجتماعيـة الـتي تعـزّز تركيزنـا عنـد الاسـتماع إلى الحفـلات الموسـيقية أو عنـد حضـور المؤتمـرات، وعلى الرغـم مـن أنّنـا أصبحنـا على مـا يبـدو مواطنـين عالميـين بعيـون وآذان فائقـة الذكاء حـاضرة في كلّ مـكان بوسـعة ودقّـة غـير مسـبوقين، فـإنّ العالـم الذي انتـشر بـذكاء فائـق أمامنـا فقـد قوّتـه وقدرتـه.

[Vallor, Social Networking and Ethics, from: ttps://plato.stanford.edu/entries/ethics-social-networking/]

إنّ التجربـة في الحيـاة الواقعيـة أيضًـا تؤيّـد مـا يطرحـه بورغمـان، فعـلى سـبيل المثـال إنّ المحاكـم الأسريـة مملـوءة بملفـات الأزواج الذيـن تعرّفـوا على بعـض في شـبكات التواصـل، وانجـذب بعضهـم إلى بعـض متأثّريـن بالهويـات القويّـة الـتي كانـوا يسـتعملونها على الشـبكات، ولكـن بعـد الـزواج واجهـوا النسـخ الأصليـة لهويـات بعضهـم بعضًـا، فلـم يسـتطع كلّ طـرف تحمّـل الطـرف الآخـر والعيـش إلى جانبـه. كذلـك يلاحـظ على الشـباب الذيـن أمضـوا حياتهـم في شـبكات التواصـل والألعـاب الحاسـوبية ثـمّ بلغـوا مرحلـة الكهولـة، أنهـم قـد يكونـون ناجحـين في الأعمـال الإعلاميـة، ولكـن لا يمتلكـون تلـك الهويـة الجريئـة والشـجاعة والمقدامـة الـتي تسـمح لهـم باقتحـام معـترك الحيـاة وتحمّـل أدوار جدّيـة؛ كالـزوج والأب والقائـد وأمثالهـا، فتجدهـم لا يتحمّلـون هـذه الأدوار مـن الأسـاس أو يتحمّلونهـا، ولكنّهـم لا ينجحـون في النهـوض بمتطلّباتها.

إنّ شبكات التواصل والنشاط فيها يخفض حسّ المسؤولية في الإنسان والتزامه في الحياة في نظر بورغمان، وما دام الأمر كذلك فإنّها مخالفة لروح الدين ومقاصده، فالدين كما هو مستوحًى من مفهومه يستبطن الالتزام والتعهّد وهذا الأمر من ذاتياته، ولا يدين الإنسان بفكرة أو طريقة إذا لم يكن متعلّقًا وملتزمًا بها. وطبعًا ليس هذا الحديث - عن التأثير السلبي للفضاء الافتراضي على الهوية وتضعيفها، خاصّةً الهوية الدينية والعقدية منها - هو كلّ الكلام، بل يحتاج إلى دراسات أكثر وأدلّة أقوى.

ويرى العديد من النقّاد أنّ نهج بورغمان هنا متأثّر بمنهج هايديغر الجوهراني (substantivist) والأحادية (monolithic) التي ترى أنّ التكنولوجيا لها ذاتٌ أو طبيعة مكوّنة من جزء واحد، وتتصرّف كعامل منفرد وقسري في الشؤون الإنسانية، وهذا المنهج الذي يطلق الجبر التكنولوجي، يقدّم التكنولوجيا بوصفها عاملًا مستقلًّا للتغيير الثقافي والاجتماعي، وهو الذي يشكّل ويحدّد المؤسّسات البشريّة والأعمال والقيم على نطاقٍ واسعٍ وخارج سيطرتنا.

ويدّعي النقّاد أنّ بورغمان لا يميّز بين طبيعة الشبكات الاجتماعية والسياقات والأنماط والدوافع التي تستخدم فيها هذه الشبكات، ويوظّفها مستخدموها في إطارها، كما يُعترض على بورغمان إهماله لحقيقة أنّ واقع الإنسان الجسدي لا يتدخّل دائمًا في تسهيل التواصل والعمل الاجتماعيين، وفي جميع الظروف وتجاه الجميع، على سبيل المثال يجادل أندرو فاينبرغ (Andrew Feenberg) بأنّ بورغمان يهمل الطريقة التي يمكن بها للشبكات الاجتماعية أن تسهّل المقاومة الديموقراطية لأولئك الذين تمّ تمكينهم مادّيًّا وسياسيًّا من قبل العديد من شبكات العالم الحقيقي. [Ibid]

هذا ولكن تحليل بورغمان الذي على أساسه أنّ النشاط والفعّالية في شبكات التواصل يسبّب حالة الانزواء للإنسان ويضعّف شجاعته وإقدامه بأن يقوم بدوره الواقعي في الحياة الاجتماعية، فهذا ادّعاء غير مقنع ويحتاج إلى أدلّة أقوى. نعم، إنّ الإفراط في استخدام شبكات التواصل بشكل يمنع الإنسان من الحضور في المجتمع والقيام بالدور الاجتماعي يسبّب في تضعيف الهوية الاجتماعية للإنسان، ولكنّ هذا ينتجه عدم الحضور في المجتمع، وليس للحضور في شبكات التواصل خصوصية أو دور خاصّ.

المبحث الرابع: تحليل الهوية السيبرانية على ضوء الحكمة الإسلامية

إن الدقّة الفلسفية تقتضي أن تُرجع الهوية بكلّ أنواعها إلى الوجود؛ فالوجود هو أصل

كلّ الصفات المهمّة منها أو غير المهمّة، فليست العناوين التي تطلق على الشيء خارجة عن عناوينه الذاتية أو العرضية التي ترجع إلى الوجود، كما أنّ العناوين المائزة لشخص عن الآخر وتعيّن هويّته السجلّية، تشير إلى وجود متشخّص بنفس ذلك الوجود، كما أنّ الهوية الجمعية والفردية ترجعان إلى شيء واحد وهو الوجود؛ لأنّ الوجود والوحدة متساوقان في الفلسفة والحكمة الإسلامية [حسن‌زاده، كشف المراد، ص 99]، فيمكن ملاحظة الوحدة لكلّ مجموعة، ونعدّ تلك المجموعة بكلّ أجزائها واحدةً، فنحصل على وجود جمعي، ومن ثمّ هوية جمعية.

بناءً عليه يمكن القول إنّ شبكات التواصل مكّنت من إنشاء وحدات وجودية وهويّات جمعية متكوّنة من أفراد لا يجمعهم مكان واحد، وذلك من خلال الانتماء إلى مبانٍ معرفية واحدة يشترك فيها كلّ أعضاء المجموعة. وإذا كانت الهوية الثقافية منشأً للسلوك والتصرّف لدى الإنسان، فلا شكّ أنّ المعرفة لها موقع مهمّ في الهوية الثقافية؛ لأنّ الإنسان فاعل بالقصد وينطلق في أفعاله الجوانحية والجوارحية من مبادئ معرفية، ومن هنا يتّضح الدور الحيوي لشبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل هوية الإنسان وبنائها من خلال تزوّده بالمبادئ والمباني المعرفية. وإذا أردنا أن نبيّن أهمّية العلم والمعرفة في هوية الإنسان في الحكمة الإسلامية، فليس هناك أفضل من الإشارة إلى نظرية اتّحاد العالم والمعلوم التي يقول بها بعض الحكماء المسلمين، وعلى أساس هذه النظرية ليست المعرفة عارضةً على الإنسان، بل تشكّل هوية الإنسان وذاته.

على الرغم من أنّ نظرية وحدة العالم والمعلوم هي قاعدة عامّة وكلّيّة تصدق على أيّ نوع من العلم والمعرفة، ولا تقتصر على المعرفة المستمدّة من الشبكات الاجتماعية السيبرانية والويب، ولكن ربّما يمكن الادّعاء بأنّ الشبكات الاجتماعية السيبرانية وفضاء الويب الثاني هي ساحة تتجسّد فيها فكرة وحدة العالم والمعلوم، فتواجد البشر في هذا الفضاء يكون عن طريق المعلومات والمعرفة التي ينشرونها، وبمعنى آخر إن الإنسان موجود في هذا الفضاء بوجود معلوماتي.

وبالطبع فإن تجلّي هذه الوحدة مع المعلوم لا يقتصر فقط على المستخدمين الذين ينشرون محتوى، وينشطون إيجابيًّا على شبكات التواصل الاجتماعي، بل حتّى المستخدمون الذين يتلقّون هذه البيانات فقط، ويحصلون على المعلومات في هذا الفضاء، فإنّ وجودهم وحضورهم يتحقّق من خلال ما يقومون به من زيارة للصفحات على الويب، ومشاهدة المحتوى وقراءته في هذا الفضاء، وبتعبير آخر، يمكن عدّ عدد الزيارات لكلّ صفحة - والذي يحصى دون

اختيار المستخدم - وكذلك عدد الإعجابات المسجّلة اختياريًّا من جانب المستخدم، عددًا للوجودات التي اتّحدت مع ذلك المحتوى؛ لأنّ زيارة 20 شخصًا مثلًا لمطلب معيّنٍ تعني قراءة ذلك المطلب 20 مرّةً، والذي يعني كذلك إيجاد 20 كائنًا علميًّا منه. كما يمكن البحث عن وحدة تشكّلها هذه الكائنات التي يشبه بعضها بعضًا معرفيًّا بأجمعها وبوجودها الجمعي.

ويبدو أنّ الاستناد إلى تفسير فكرة وحدة العالم والمعلوم والخلوص إلى أنّ المعرفة هي التي تشكّل الهويّة ليس منحصرًا في الحكمة الاسلامية، بل إنّ الشبكات الاجتماعيّة الإلكترونيّة تؤمن بهذه الفكرة أيضًا، لدرجة أنّها تستخدمها لتحديد الأشخاص وتقديم الإعلانات المستهدفة والمؤثّرة على كلّ مستخدم، كما أنّ فكرة "بامر" (BUMMER) التي طرحها جارون لانيير (Jaron Lanier)، والتي بموجبها يمكن لأصحاب الشبكات الاجتماعية تشكيل المستخدمين كما يحلو لهم، من خلال التخطيط لجعلهم يستهلكون وسائط محدّدة، يمكن مقارنتها مع الرؤية التي تعتقد بمساواة هويّة الإنسان لمعرفته، ومن المحتمل أنّ العديد من الأشخاص عندما يضعون صورةً تشير إلى ما يعتقدون به أو يفكّرون فيه في صورة ملفّهم الشخصي، والتي يفترض أن تحكي عن هويّتهم، هو اعتراف فطريٌّ بأنّهم هم نفس ما يفكّرون فيه.

إلّا أنّ القضيّة المهمّة هي مدى توافق الهويّة الإلكترونية للمستخدم - وهي ما يتّحد مع البيانات والمعرفة التي تمّ اشتراكها أو استهلاكها من جانب المستخدم - مع هويّته الحقيقية التي تتّحد بدورها مع معرفته.

ولا شكّ في أنّ تلك المعرفة الموضوعيّة التي يتّحد الإنسان بها ليست معرفةً بسيطةً، بل هي معرفةٌ في سياق شبكة من المعارف الأخرى التي على الرغم من أنّها قد تنشأ من العالم الواقعي أو السيبراني، إلّا أنّها حاضرة في ذهنه أو حتّى في لاوعيه، ويمكن أن تقع هذه المعرفة متعلّقًا لمستويات وحالات مختلفة أخرى من الروح الإنسانية، مثل النيّة والعاطفة والإيمان والشكّ والريبة واليقين والإيمان وغيرها، ومع ذلك فهي تشكّل جزءًا واحدًا فقط من المنظومة المعرفيّة البشريّة بأكملها على الشبكة الاجتماعيّة، على سبيل المثال الشخص الذي يبحث عن كلمة "الله" على الويب أو يتابعها على وسائل التواصل الاجتماعي قد يصدّقها أو لا يصدّقها، أو إذا كان يبحث عن دليل لإثبات وجود الإله، فإنّه يقوم بذلك لتقوية إيمانه أو تقوية إلحاده، كما أنّ البشر يتّبعون صفحاتٍ مختلفةً ويسجّلون إعجابهم بها تبعًا لأهدافهم ودوافعهم وخلفيّاتهم، ومن هنا، فإنّ خوارزميات الذكاء الاصطناعي في الشبكات الاجتماعية

تسعى إلى محاكاة الهويّة الحقيقيّة للإنسان ومقاربتها من خلال تحليل شبكة المعرفة المتلقّاة من قبله في فضاء الويب، إلّا أنّ هذه المحاكاة غير قابلة للتحقيق بنسبة 100٪ إذا تعلّق الأمر بأفراد الإنسان، ومع ذلك، يبدو أنّه في حالة الإنسان الجمعي أو المجتمع، ونظرًا للتشابه بين الأسس المعرفية للبشر، يمكن للهويّة المستنبطة إحصائيًا أن تشير إلى حدّ كبيرٍ إلى الهويّة الموضوعية لتلك الحالة.

الخاتمة

1- أنّ من الإمكانيات المخيفة لشبكات التواصل هي الحصول على الهوية الرقمية للمستخدمين، والتي يمكن من خلالها هندسة هويتهم، فمن الجانب الإمكاني وحتّى الوقوعي يمكن لمالكي هذه الشبكات أن يستخدموا خوارزميات لهندسة أذهان المستخدمين وبناء شاكلتهم على أساس رؤًى غير دينية مثل الأنسنة، وإبعادهم عن الدين والتديّن.

2- من جانب آخر، إنّ كثرة المعلومات الموجودة في الفضاء الافتراضي وغلبة فضاء الهواية والتسلية فيها وإمكان اختيار المطالب والموادّ الإعلامية فيها على أساس هوايات المستخدم وما يعجبه، وإمكانية الانخراط في مجموعات قريبة في التفكير في هذا الصياغ، يسلب منه حالة التعمّق والتدقيق والحلم الذي يحتاج إليه لكي يحصل على هوية تأمّلية، فيتسبّب بالهويات السطحية المتصلّبة أو المتذبذبة، الأمر الذي يعارض الهوية الدينية المطلوبة. ولمعالجة الأمر نقترح اتّخاذ طرق مختلفة لترفيع مستوى الثقافة الإعلامية لدى كلّ شريحات المجتمع، وكذلك تربية الناشطين في هذا الفضاء ودعمهم، وتصميم شبكات لتغذيتهم الفكرية ورعايتهم. يجب على كلّ الجهات التي تهتمّ بسعادة الإنسان وسلامته الروحية على وجه الخصوص، وخصوصًا الحكومات التي يهمّها شعبها أن تهتمّ بحفظ الهوية الدينية لشعبها، وتعمل على تقويتها إلى جانب الهوية القومية؛ لدورها الذي لا بديل له في إعطاء هوية منسجمة وشمولية للإنسان.

3- يجب أن لا يكون أيّ فارق بين وسائل الإعلام من حيث معاملة القانون لها؛ لحفظ المجتمع وقيمه والحؤول دون هتك هذه القيم، فإذا كان هناك قوانين ومحاكم لمثل المطبوعات والقنوات، فالمفترض أن تكون قوانين محكمةً وصارمةً؛ حتّى لا ينتهز بعضهم الفرصة لإهانة المقدسات أو تضعيف الهوية الدينية التي هي أهمّ رأس مال لأيّ شعب وأي بلد.

4- أنّ شبكات التواصل من خلال تمهيد الأرضية لاتّصال أفراد المجتمع بالشبكة العالمية، تجعل الإنسان يعيش أجواءً غير ثقافته التي يعيش فيها بجسمه، فإذا لم تنضج هويّته بصورة متينة وتأمّلية ولا تتأصّل جذورها في أعماق وجوده، يمكن أن يتعلّق بتلك الأجواء وأنماط الفكر والحياة فيها؛ الأمر الذي لا يستحسنه المجتمع من حوله، وهذا يسبّب أزمة الهوية، ولكن تقوية الهوية الدينية وبسط الثقافة الإعلامية وتعميق قواعد الهوية المحلّية والأسرية وترسيخها يمنع من وقوع الشباب في أزمة الهوية، خصوصًا إذا وفّقنا أن نشيّد هذه الهوية قبل خوضهم في هذا الفضاء، وقبل أن تسبقنا خصوصياتها.

5- أنّ شبكات التواصل في شكلها الحالي تذهب في طريق ترسيخ فكر ما بعد الحداثة في المجتمع، وهي الثقافة التي تدعو إلى قبول التعدّدية المعرفية وعدم بذل الجهد لهداية من تعتقد أنّه يذهب في الطريق الخطإ، وهذا ممّا لا يدعو إليه دين ولا يجسد مجتمعا له هوية دينية. إنّ الدين في الحقيقة يدعو إلى تشكيل الأمّة التي يؤمّها الإمام الحقّ، والناس فيها يهتمّون ببعضهم ويريدون السعادة الحقيقية لبعضهم، ويرون أنّهم جميعًا في سفينة واحدة وليس المجتمع. إنّ تصميم شبكات التواصل بصورة تسهم في تشكيل أمّة في الفضائين السيبراني والحقيقي وإدارتها بحيث تسير في هذا الاتّجاه يجب أن يكون ضمن برامج وغايات وورقة عمل بيد كلّ من يمكن له أن يقوم بدور في هذا المجال.

6- أنّ المجتمع له هوية تختلف عن هوية مجموعة أفراده؛ لأنّ أفراد المجتمع ليسوا أجزاءً محايدةً أمثال كراة صغيرة في كيس واحد، بل إنّ هناك علاقاتٍ خاصّةً بينهم تربط بعضهم ببعض، وإنّ شاكلة هذه العلاقات والروابط لها آثار خاصّة وتختلف الآثار هذه باختلاف نماذج هذه الشاكلات، ولا شكّ أنّ الدين يوصي بنموذج خاصّ للربط بين أفراد المجتمع، وهذا النموذج يشكّل وجودًا خاصًّا ومن ثمّ هوية خاصّة للمجتمع، ولا شكّ في أنّه كما أنّ لكلّ ماهية غايةً وكمالًا، فإنّ المجتمع يصل إلى كماله وغايته المنشودة إذا كان في صورته التكوينية الصحيحة والواقعية، والدين على ما قرّرنا في البحث يهدي إلى الهوية الحقيقية والواقعية للإنسان في صورتها الفردية والاجتماعية، فعلى هذا الأساس، إنّ الكمال الحقيقي والازدهار الواقعي للمجتمع يُحصل عليه على أساس النموذج الديني أو بالأحرى الهوية الدينية. من جانب آخر، إنّ شبكات التواصل التي تفرض أنماطًا خاصّةً ملهمةً من الفكر الليبرالي الغربي على المجتمع، تفرض نموذجها الخاصّ في العلاقات بين أفراد المجتمع، وهو يختلف عن النموذج الديني، ومن ثمّ تفرض هويةً خاصّةً غير دينية؛ لذلك من الضروري إعادة النظر في هندسة هذه الشبكات وإدارتها على أساس ما توصي به الثقافة الدينية.

قائمة المصادر

نهج البلاغة.

اکبری، بهمن، بحران هویت و هویت دینی، پیک نور، سال ششم، شماره‌ی 4، دانشگاه پیام نور، زمستان 1387 ش.

البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، 1371 ش.

الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1407 هـ.

باستر، مارک، عصر دوم رسانه‌ها، ترجمه‌ی غلام‌حسین صالحیار، نشر ایران، 1378 ش.

بهاروندی، ایوب، هویت‌سازی دینی و جهانی‌شدن، مجله‌ی مطالعات معنوی، شمارگان 21 و 22، بهار و تابستان 1395 ش.

جوانی، حجت الله، هویت دینی یا هویت‌های دینی، مجله‌ی اسلام‌پژوهی، شماره‌ی 1، زمستان 1384 ش.

حسن زاده آملي، حسن، كشف المراد للعلّامة الحلّي (مع التعليقات)، قم، نشر اسلامی، الطبعة السابعة، 1417 هـ.

رسول‌زاده اقدم، رسول و ...، رسانه‌های اجتماعی، هویت و فرهنگ جوانان، تهران، نشر اساطیر پارسی چاپار، 1396 ش.

شایگان، داریوش، افسون‌زدگی جدید، هویت چهل تکه و تفکر سیار، تهران، نشر فرزان روز، چاپ دهم، 1396 ش.

شریفی، سیدمهدی و ...، نظریه‌های رسانه؛ همراه با رویکردهای نوین، نشر ادیبان روز، چاپ یکم، 1398 ش.

شکرخواه، یونس، فضای مجازی، ملاحظات اخلاقی، حقوقی و اجتماعی، تهران، نشر دانشگاه تهران، 1390 ش.

عباسی، فاطمه، فضای مجازی در اندیشه‌ی اسلامی، نشر واژه‌پرداز اندیشه، چاپ یکم،

1400 ش.

فیروز آبادی، سیدابوالحسن، فضای مجازی، اجتماع و فرهنگ، شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، 1396 ش.

هاشمی‌زاده، سیدرضا و ...، عصر مجازی؛ تأملی بر کارکردها و رویکردهای جامعه‌ی مجازی، نشر تیسا، 1396 ش.

وارد، گلن، پست‌مدرنیسم، ترجمه‌ی قادر فخر رنجبری و ابوذر کرمی، نشر ماهی، تهران.

گیدنز، آنتونی، تجدد و تشخص، جامعه و هویت شخصی در عصر جدید، ترجمه‌ی ناصر موفقیان، نشر نی، تهران، 1383 ش.

Behrends, Christoph, How to Conceptualize a Postmodern Understanding of Identity in Relation to "Race", Grin Verlag, 2008.

Borgmann, Albert, Information and reality at the turn of the century, The Massachusetts Institute of Technology Design Issues: Volume 11, Number 2, summer 1995.

Carducci, Bernardo J., The Psychology of Personality: Viewpoints, Research, and Applications, John Wiley & Sons, (2009).

Crisp, Richard J, Turner, Rhiannon N, Essential Social Psychology, SAGE Publications, 2014.

Ermarth, Elizabeth Deeds, postmodernism, in Routledge Encyclopedia of Philosophy, Version 1.0, London and New York: Routledge, 1998.

Giddens, Anthony, The Consequences of Modernity, Polity Press, 2013.

Hartley, John, Burgess, Jean, Burns. Axel, A Companion to New Media Dynamics, John Wiley & Sons, 2015.

Kamberg, Mary-Lane, Digital Identity: Your Reputation Online, The Rosen Publishing Group, Inc, 2018.

Kumaravadivelu, B. Anonimo, Cultural Globalization and Language Education, Yale University Press; Illustrated edition, August 28, 2007.

Mandy, Ann, & others, Podiatry, A Psychological Approach, Wiley, 2009.

Patrick, Morag, Identity and the politics of recognition, in Noel O›Sullivan's "political theory in transition", Routledge, London, 2000.

Stratten, Scott, Kramer, Alison, UnMarketing: Stop Marketing, Start Engaging, John Wiley & Sons, 2012.

Vallor, Shannon, Social Networking and Ethics, 2016, from: https://plato.stanford.edu/entries/ethics-social-networking/

Volsche, Shelly, Voluntarily Childfree: Identity and Kinship in the United States, Lexington Books, 2019.

www.merriam-webster.com